

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique

Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -

X•O٧•EX •KIIÉ C:٨:IA :II٨•X - X:OEO:٤ -



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محمد أولحاج
- البويرة -

Faculté des Lettres et des Langues

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي
التخصص: لسانيات تطبيقية.

المعايير النصية في الخطاب القرآني -سورة الفرقان أنموذجا-

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر

إشراف الأستاذ:

عبد القادر تواتي

إعداد الطالبة:

زينب مزراق

لجنة المناقشة:

رئيسا
مشرفا ومقررا
عضوا مناقشا

جامعة البويرة
جامعة البويرة
جامعة البويرة

1-د/ عبد الحفيظ شريف
2-د/ عبد القادر تواتي
3-أ د/ عمرو رابحي

السنة الجامعية:

2026 /2025م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم. الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين. على محمد أشرف المرسلين.
عليه أركى الصلاة وأتم التسليم. وعلى آله وصحبه أجمعين. أمّا بعد:

فقد قيل إن "الحكمة نزلت على السنة العرب وعقول اليونان وأيدي الصينيين"؛ وبذلك كان حظ الأمة العربية من الحكمة لغتها؛ إذ لا يخفى على دارس افتتان العرب بلغتهم، وعنايتهم الشديدة بها قبل مجيء الإسلام، فلما جاء الإسلام ونزل القرآن بلسان عربي مبين هو منتهى الفصاحة والبلاغة؛ كلام معجز في نظمه، ازداد الإقبال على اللغة في إطار الاهتمام بإعجاز القرآن الكريم؛ نحوًا وبلاغةً وتفسيرًا. وهو أمر معهود منذ القدم لم يفتر مع الزمن على كثرة ما تهافتت عليه الدراسات، كيف لا وهو الكلام الذي لا يخلق عن كثرة الردّ، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء. ومع تطوّر علوم اللغة سواء عند العرب أم الغرب، تنوّعت الجوانب التي يُتناول من خلالها النصّ القرآني، خصوصًا بعد المنعرج اللساني الحديث الذي تولّدت عنه عدّة فروع لكلّ فرع منها جانب يحثي به، وأساس يقوم عليه، ووجهة هو مولّيتها. ومن أبرزها: لسانيات النصّ؛ التي تعدّ حقلاً ثريًا تلنقي في كنفه عدّة علوم: (النحو، البلاغة، التفسير، اللسانيات.. إلخ). وقد صُبت لسانيات النصّ اهتمامها على الاشتغال على النصّ بوصفه وحدة كبرى تتضمّن عدّة معايير مشروطة تثبت للنصّ هويته؛ وهذه المعايير السبع هي: الاتساق، الانسجام، القصديّة، المقبوليّة، الإعلاميّة، المقاميّة، التناصّ، يختصّ اثنان منها بالنصّ وهما: الاتساق والانسجام. ويختصّ اثنان بمنتج النصّ ومتلقيه وهما: القصد والمقبوليّة، وتختصّ الثلاثة الباقية بسياق النصّ.

وبذلك فقد جاءت هذه الدراسة معنونة بـ: **المعايير النصيّة في الخطاب القرآني - سورة الفرقان أنموذجًا** - غير أنّ ضيق المدّة من جهة، والصفحات المحدودة في مذكّرة الماستر من جهة أخرى حال دون دراسة جميع المعايير، فاقترصر البحث على أشدّ المعايير التصاقًا بالنصّ؛ وهما معيارا الاتساق والانسجام.

وقد سُبقت لهذا البحث دراسات خاضت في مواضيع مقارنة له، لعلّ أبرزها: مذكّرة الماجستير "الاتساق والانسجام في سورة الكهف" للطالب محمود بوسنة، من جامعة باتنة سنة 2009. غير أنّ مدوّنة الدّراسة مختلفة وكذلك طريقة التحليل؛ حيث إنّ سورة الكهف يغلب عليها الطّابع القصصيّ وهو ما لا نجده في سورة الفرقان.

وكذلك بدرجة أقرب مقال: "النّماسك النّصيّ وأهمّيّته في تحليل الخطاب القرآني سورة الفرقان أنموذجاً -دراسة نحويّة نصيّة-" لفكري عبد المنعم النّجار، المنشور لجامعة الشارقة جوان 2021. غير أنّه كما أشار العنوان فإنّ هذا المقال يقتصر على الجانب الشكلي؛ حيث تمّت دراسة معيار الاتساق فقط، أمّا هذه الدّراسة فتضمّ الاتساق والانسجام معاً.

وقد تطرّق البحث إلى تحليل نصيّ لسورة الفرقان، انطلاقاً من الإشكالات الآتية:

_ ما أثر أدوات الاتساق والانسجام في الترابط النصيّ في سورة الفرقان؟

_ وكيف ساهمت الوسائل الإحالية في ربط الآيات ببعضها؟

_ وفيما تكمن أهمية مبادئ الانسجام التي تستهدف فهم النّص وبناء انسجامه؟

_ وإلى أيّ مدى ساهم السياق في الفهم والتأويل؟

ويرجع دافع اختيار هذا الموضوع إلى عدّة أسباب ذاتيّة، وأخرى موضوعيّة؛ تتمثّل في:

_ أحقيّة النص القرآني بالدّراسة والفهم والتعمق في معانيه فهو كلام الله ومعجزته الخالدة.

_ الرغبة في سبر أغوار لسانيّات النص؛ هذا العلم الذي ما يني يكشف لنا عن خبايا النصوص ومكوناتها.

وقد توكّأ البحث على المنهج الوصفيّ بالاعتماد على التحليل، من خلال وصف المعايير

النصيّة -الاتساق والانسجام- وآليات كلّ منهما على اختلافها، وتحليلها وتطبيقها على سورة الفرقان؛ وذلك لتوافق المنهج وموضوع الدّراسة.

وقد اقتضت طبيعة البحث وضرورة التركيز على الجانب التطبيقي تقسيم الدراسة إلى شقين؛ يجمع

كلّ منهما بين النظريّ مشفوعاً بما يناسبه من تطبيق؛ فكان البحث وفق الخطة الآتية:

_الفصل الأول: وقد عُنون بـ: مظاهر الاتّساق في سورة الفرقان. وتمّ التطرّق فيه إلى مظاهر

الاتّساق نظريّاً من خلال تعريفها وبيان أهميّتها، وذلك مزاججة مع الجانب التطبيقيّ على السورة مع

توخّي ومحاولة استقصاء ما يندرج تحت كلّ عنصر.

_أما الفصل الثاني؛ فقد ضمّ معيار الانسجام؛ معنونا بـ: مظاهر الانسجام في سورة الفرقان. حيث

تناول أربعة مبادئ من أبرز مبادئ الانسجام نظريّاً، وكلّ مبدأ منها جاء مشفوعاً بجانبه التّطبيقيّ.

وقد أُتبع كلّ فصل من الفصلين بأهمّ النتائج المتوصّلة إليها فيه.

ليصل البحث في الأخير إلى خاتمة أجمل فيها القول بأهمّ النتائج المتعلقة بالمعايير

النصيّة الواردة في سورة الفرقان، ومدى إسهامها في تحقيق نصيّتها.

وقد اعتمد البحث في نشأته واكتماله على جملة من المصادر والمراجع، وبعض كتب

التفسير، من بينها على سبيل المثال لا الحصر:

❖ محمّد خطّابي. لسانيّات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب.

❖ روبرت ديبيجراند. النّص والخطاب والإجراء.

❖ الطّاهر بن عاشور. التّحرير والتّنوير.

ولا ريب أن تواجها في البحث صعوبات، كان أبرزها: الحذر في التّعامل مع النّص

القرآني خصوصاً في جانب التّأويل خشية القول على الله بغير علم.

ولا أنسى التّقدّم بجزيل الشكر لأستاذي المشرف: الدّكتور عبد القادر تواتي، على قبوله

الإشراف على هذا البحث العلميّ، ومتابعته الحريصة له في جميع مراحلها.

وإن أصبت فمن الله وإن أخطأت من نفسي والشيطان، والله الموفّق.

المدخل

1_ نشأة لسانيات النص

2_ بين النص والخطاب

3_ تسمية القرآن خطابا

4_ بين يدي سورة الفرقان

1. نشأة لسانيات النص: (من لسانيات الجملة_Linguistique de la phrase إلى

لسانيات النص _Linguistique textuelle)

كانت الدراسات اللغوية القديمة -سواء منها العربية أو الغربية- قد صبّت جلّ اهتمامها على الجملة؛ فكانت الجملة محورا ومرتعا لدارسي اللغة على اختلاف مشاربهم، غير أنّ انحصار التحليلات النحوية في هذا الإطار ليس قصورا فيها، بل يرجع للأسباب التي من أجلها تم تعقيد اللغة، والتي كان من أبرزها الرغبة في تقويم اللسان في نطق الجملة، وعليه كان الاهتمام بالقواعد التي تضمن سلامة الجملة كافيا للحكم بالصحة من عدمها¹.

ومع التطوّر الحاصل في الدراسات اللغوية تبعا لدوافعها وغاياتها، إضافة إلى «الاتصال الوثيق بين كلّ من علم النحو وعلم البلاغة وعلم النقد وعلم الشعر أيضا نشأ ذلك الإحساس القويّ بضرورة توسيع الدراسات القائمة على الجملة إلى دراسات ذات إطار أوسع يتمثّل في النصّ²».

وعليه تعدّ لسانيات النصّ علما هجينا كونها نشأت جزاء «التتبع التاريخي للمعارف والعلوم التي تناولت جوانب نظرية النصّ والخطاب، تلك الجوانب التي تقسمتها تخصصات متنوعة، وكلّ شيء يوحي بأنّ هناك فرقا وتعدّدا في هذه الاختصاصات المتعلقة بالنصّ والخطاب»³ ولا يُقصد من وراء وصفها بالهجينة افتقارها إلى الهوية، إذ تعدّ لسانيات النصّ علما قائما بذاته وإن كانت مصبّا لسيول عدّة علوم على غرار: اللسانيات، الأنثروبولوجيا، علم الاجتماع، الخطابة، النحو، البلاغة الجديدة⁴.

2. بين النصّ (Texte) والخطاب (Discours) :

¹ ينظر: صبحي إبراهيم الفقي. علم اللغة النصي. دار قباء. ط1. القاهرة. 2000م. ج1. ص: 49، 50.

² الأزهر الزناد. نسيج النص. المركز الثقافي العربي. ط1. بيروت. لبنان. 1993. ص: 5.

³ عزمي محمد عيال سلمان. لسانيات النص وتحليل الخطاب النشأة والتطور. كنوز المعرفة ط1. 2020م. ص:

17.

⁴ ينظر: المرجع نفسه. ص: 18.

أ/ لغة: بالرجوع إلى معاجم اللغة القديمة، نجد اتفاقاً بعيد المدى في معنى كلمة نص؛ حيث جاء في لسان العرب: «النص رفعك الشيء، وكل ما أظهر فهو نص، نص الحديث إلى فلان أي رفعه، ونص المتاع نصاً: جعل بعضه على بعض... ابن الأعرابي: النص الإسناد إلى الرئيس الأكبر، والنص التوقيف، والنص التعيين على شيء ما، ونص الأمر شدته، ومنه قول الفقهاء: نص القرآن ونص السنة أي ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام¹». فالنص كلمة جامعة لمعاني: الرفعة والظهور والإسناد والتعيين.

وغير بعيد عنه ذهب ابن دريد في الجمهرة: «النص: نصت الحديث أنصه نصاً إذا أظهرته، ونصت العروس نصاً إذا أظهرتها، ونصت البعير في السير أنصه نصاً إذا رفعته... وكل شيء أظهرته فقد نصصته²». أما في المعاجم العربية المعاصرة فنجد الأمر قد اتخذ منحىً بيناً نوعاً ما، واقتصر على معانٍ أدقّ تكاد تدنو من التعريف الاصطلاحي؛ حيث جاء في المعجم الوسيط: «النص: صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف، وما لا يحتمل إلا معنى واحداً أو لا يحتمل التأويل ومنه قولهم لا اجتهد مع النص³»

ب/ اصطلاحاً: وكأي مصطلح علمي فإنه يتجاوز التعريف اللغوي إلى التعريف الاصطلاحي؛ غير أننا نجد نوعاً من عدم الضبط المفاهيمي؛ حيث يذهب هاليداي ورقية حسن إلى اعتبار النص مدلولاً على كلّ فقرة منطوقة أو مكتوبة مهما طالت أو امتدت، وللنهج نفسه يذهب ديفيد كريستال الذي يؤكد على الوظيفة الاتصالية للنص، أما سميث فيشترط وحدة

¹ ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم بن عليّ. لسان العرب. دار صادر. ط3. بيروت. 1414هـ. ج7. ص: 98. مادة (ن ص ص)

² ابن دريد. جمهرة اللغة. تح: رمزي منير بعلبكي. دار العلم للملايين. ط1 بيروت. 1987م. ج1. ص: 145.

³ إبراهيم مصطفى وآخرون. المعجم الوسيط. مكتبة الشروق الدولية. ط4. القاهرة. 2005م. ج2. ص: 926.

الموضوع الذي يدور حوله النص¹، على أن جميع التعريفات التي خاضت في مدلول النصّ كلها تراهن على ضرورة الترابط بين أجزائه.

ولعلّ من أشهر التعريفات الجامعة؛ التعريف الذي نقله سعد مصلوح عن روبرت آلان ديبيوغراند أنّ النصّ: «حدث تواصلٍ يلزم لكونه نصاً أن تتوفر له سبعة معايير للنصّ مجتمعة ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف عنه واحد من هذه المعايير (السبك، الحيك، القصد، القبول، الإعلام، المقاميّة، التناص)²» وهو التعريف الذي سيسير البحث وفقه.

ثانياً: الخطاب:

أ/ لغة: جاء في لسان العرب لفظ الخطاب والمخاطبة بمعنى «مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان، واسم الكلام: الخطبة³» وهو ذاته المعنى الموجود في المعاجم المعاصرة: «الخطاب: الكلام، وفي التنزيل: ﴿فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ 23﴾، تخاطباً: تكالماً وتحادثاً، خاطبه مخاطبة: كالمه وحادثه ووجه إليه كلاماً، ويقال خاطبه في الأمر: حدّثه بشأنه⁴».

ب/ اصطلاحاً: يأخذ مصطلح الخطاب مفهوماً اصطلاحياً غير بعيد عن المفهوم اللغويّ: فيعدّ «إنجازاً في المكان يقتضي لقيامه شروطاً، أهمها: المخاطب والخطاب والمخاطب، ولفظ الخطاب من حيث معناه اللغويّ يدلّ على كلّ ملفوظ أكبر من الجملة منظوراً إليه من حيث قواعد التسلسل الجمليّ، ومن وجهة نظر اللسانيات فإنّ النصّ لا يمكن أن يكون سوى مرادف

¹ ينظر: صبحي إبراهيم الفقي. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق. ج1. ص: 32، 33.

² سعد مصلوح. نحو آجروميّة للنصّ الشعريّ. مجلة فصول مجلد 10 عددا: 1991/7، 1991/9 ص: 154.

³ ابن منظور. لسان العرب ج1. ص: 361. مادة: خطب.

⁴ المعجم الوسيط ج1. ص: 243.

للملفوظ¹» كما يراهن ديان مكدونيل على شرط الترابط فيه فيقول: «الخطاب نسق من الجمل لا بدّ أن يتربط كي يصنع خطاباً²»

ثالثاً: الفرق بين النص والخطاب:

يمكننا أن نستنتج من خلال الجمع بين التعاريف الاصطلاحية السابقة أنّ أول إشارة للتفريق بين النص والخطاب؛ أنّ هذا الأخير ملفوظ، أمّا الأول فمكتوب، والواقع أنّ التذبذب الحاصل في تحديد مصطلح النص والخطاب راجع إلى «تطور الخلفيات النظرية وتطور الإجراءات المنهجية تبعاً لذلك، فقد نشأ التحليل -نصاً وخطاباً- في حضان لسانيات الجملة، لم تراعى في الجملة إلا صحة التركيب واتساق المعنى³» فحدث جرّاء ذلك نوع من الخلاف في المفارقة بينهما.

وهناك من ميّز مصطلح الخطاب عن مصطلح النص في كون موضوع الخطاب «يتشكل من الكل وأنه يشير إلى الطول، أما النص فيشير إلى البعض مع القصر أيضاً، لكنّ الاستقلالية بينهما لا يمكن الجزم بها⁴» فنجد في هذا التعريف التفريق بين النص والخطاب على أساس الحجم، غير أنّ هذا غير وارد جدّاً، فكيف يكون الحجم معياراً في التفريق بين مصطلحين لم يرد حجم محدّد في أركانها الأساسية؟

¹ نعمان بوقرة. المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية. جدارا للكتاب العالمي. دط. عمان الأردن. 2009م ص: 14.

² ديان مكدونيل. مقدّمة في نظريات الخطاب. تر: عز الدين إسماعيل. المكتبة الأكاديمية ط1. 2001م. ص: 30.

³ محمد مفتاح. التشابه والاختلاف، نحو منهجية شمولية. المركز الثقافي العربي. دط. لبنان. دت. ص: 34.

⁴ فتحي رزق الخوالدة، تحليل الخطاب الشعري ثنائية الاتساق والانسجام في ديوان أحد عشر كوكبا. دار أزمّة. ط1. عمان. 2006. ص: 11.

ويقترح محمد مفتاح صاحب كتاب التشابه والاختلاف هذا التعريف المُفَرَّق بين النص والخطاب: «إنَّ النص عبارة عن وحدات لغوية طبيعية منضدة متسقة، وإن الخطاب عبارة عن وحدات لغوية طبيعية منضدة متسقة منسجمة، ونعني بالتضيد ما يضمن العلاقة بين أجزاء النص والخطاب، مثل أدوات العطف وغيرها من الروابط، وبالتنسيق ما يحتوي أنواع العلائق بين الكلمات المعجمية، وبالانسجام ما يكون من علاقة بين عالم النص وعالم الواقع¹» فيُضاف شرط الانسجام في الخطاب؛ ويقصد به حلقة الوصل القائمة بين النسق والسياق.

3. تسمية القرآن خطاباً:

بناء على ما سبق فإن القرآن نصّ وخطاب في آن واحد؛ فهو نص مكتوب ومحفوظ من جهة، وخطاب إلهي موجه للبشرية عبر التاريخ. حيث يمثل القرآن نصاً بكونه مدونة ثابتة ومكتوبة (المصحف)، بينما يعتبر خطاباً تداولياً يتفاعل مع الواقع ويرتبط بسياق نزول معين.

4. بين يدي سورة الفرقان: سورة الفرقان؛ سورة مكية «أسلوب السورة وأغراضها شاهدة بأنها مكية²» وهي السورة الثانية والأربعون في ترتيب النزول.

وكغيرها من سور القرآن، لهذه السورة أغراض أساسية ومقاصد محورية تظهر للقارئ لها بصورة جلية، يلخصها ابن عاشور رحمه الله في ثلاث دعائم رئيسية³:

الأولى: إثبات أن القرآن منزل من عند الله، والتتويه بالرسول صلى الله عليه وسلم المنزل عليه، وإظهار ودلائل صدقه، ورفع شأنه عن حظوظ الدنيا، وأنه على طريقة غيره من الرسل.

الثانية: إثبات البعث والجزاء؛ والإنذار بالجزاء في الآخرة والتبشير بالثواب فيها.

¹ محمد مفتاح. التشابه والاختلاف. ص: 35.

² محمد الطاهر ابن عاشور. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. الدار التونسية للنشر. ط1. تونس. 1984. ج18. ص: 314.

³ ينظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج18. ص: 314.

الثالثة: الاستدلال على وحدانية الله وتفرده بالخلق، وذكر بدائع صنعه تعالى جمعا بين الاستدلال والتذكير.

وتختتم السورة ختاماً مميّزاً بذكر صفات عباد الرحمن.

الفصل الأول

مظاهر الاتساق في سورة الفرقان.

1_ تعريف الاتساق

2_ مظاهر الاتساق التركيبي

3_ مظاهر الاتساق المعجمي

لا بدّ من الإشارة بادئ ذي بدئ إلى أنّ تقديم دراسة الاتساق على الانسجام ليس ترتيباً أهميّة، بل ترتيب أولويّة؛ لأنّ المتلقّي أو القارئ يقف على الألفاظ قبل أن يغوص في المعاني، فكانت دراسة الجانب الشكليّ حرّية بالتّقديم كمفتاح يفتح لنا المغاليق الأولى للنّص، ومن ثمّ يتولّى الانسجام مهمّة التحليل الدّلاليّ، فاللفظ هو حصن المعنى، وليس لنا أن نقدّم الانسجام والدّراسة الدّلاليّة قبل حلّ مغاليق الجوانب الشّكليّة.

إنّ النّص باعتباره كلّاً «تحدّه مجموعة من الحدود تسمح لنا أن ندركه بصفته كلّاً مترابطاً»¹ يشتمل على روابط تركيبية تبرز لنا تلك العلائق الماثلة فيه، غير أنه لا ينبغي للنّص أن «يكون مترابطاً فحسب، بل ينبغي أن يتصف بالاتساق الذي يعدّ من الشروط الأساسية لبناء النّص»² وإذا رجعنا إلى التّراث اللّغويّ العربيّ وجدنا نظريّة النّظم عند عبد القاهر الجرجانيّ أقرب ما تكون لمفهوم الاتّساق. و«النّظم في اللّغة: جمع اللؤلؤ في السلك، وفي الاصطلاح تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل وقيل الألفاظ المترتبة المسوقة المعتبرة دلالاتها على ما يقتضيه العقل»³ ولهذا وجب علينا الوقوف على مفهوم الاتّساق، وتحريّ أدواته التي من شأنها أن تضمن للنّص نصيّته.

أولاً: تعريف الاتساق: (Cohésion)

أ/ لغة: جاء في معاجم اللّغة القديمة وعلى رأسها لسان العرب بمعنى الانضمام «فكلّ ما انضمّ فقد اتّسق»⁴، وفي مادّة نسق جاء بمعنى الانتظام: «النسق من كلّ شيء ما كان على

¹ حولة طالب الإبراهيمي. مبادئ في اللسانيات. دار القصة للنشر. ط2. الجزائر. 2000 / 2006. ص: 169.

² المرجع نفسه. ص: 169.

³ الشريف الجرجانيّ. معجم التعريفات. تح: محمّد صديق المنشاويّ. دار الفضيلة. دط. القاهرة. دت. ص: 203.

⁴ ابن منظور. لسان العرب. ج10. ص: 279.

طريقة نظام واحد عام في الأشياء، وقد نسّقه تنسيقاً¹ وعلى كلّ فإنّه يتضح من هذين التعريفين أنّ معنى الكلمة يدور في فلك الانضمام والانتظام. وإذا نظرنا في المعاجم المعاصرة نجد المعجم الوسيط يجمع بين المعنيين في مادة اتسق: «اتسق الشيء اجتمع وانضم وانتظم»²

ب/ اصطلاحاً: حظي مصطلح الاتساق بصفته معياراً نصياً باهتمام بالغ من طرف علماء النص؛ من خلال تحديد مفهومه ورصد أدواته والتوغّل فيها إذ يعرفه محمد خطابي بأنّه: «التماسك الشديد بين أجزاء النص ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكوّنة لجزء من خطاب أو خطاب برمته»³ غير أنّه لا يمكن الجزم بهذا المعيار في كلّ نصّ إلّا إذا توقّرت فيه «مجموعة من الروابط التي تعزّز من تماسكه مثل الإحالات والاستبدال والحذف»⁴. كما يعرفه هاليداي ورقية حسن بأنّه «مجموع الإمكانيات المتاحة في اللغة لجعل أجزاء النص متماسكة، وهو لدهما ذو طبيعة قوامه العلاقات المعنوية الموجودة في النص وهو في الآن نفسه ما يكون به النص نصاً ويكون الاتساق عندما يعتمد تأويل جزء من أجزاء النص على تأويل عنصر آخر منه فلا يتسنى الأول إلا بالثاني وبهذا يكون الاتساق جزءاً من نظام اللغة والظواهر المحققة له في مستوى النص هي من حيث طبيعتها الظواهر نفسها التي تعمل داخل الجملة الواحدة من حذف وإضمار وتعريف وإشارة واستبدال معجمي»⁵

وبهذا يتّضح أنّ للاتّساق جملة من الأدوات يكتسب بوساطتها هويّته؛ سواء أكانت هذه الأدوات خادمة للمستوى النحويّ التركيبيّ أم المستوى المعجميّ.

¹ ابن منظور. لسان العرب. ج10. ص: 352.

² المعجم الوسيط. ج2. ص: 1032.

³ محمد خطابي. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب. المركز الثقافي العربي. دط بيروت. 2006. ص: 5.

⁴ فتحي رزق الخوالدة، تحليل الخطاب الشعريّ-ثنائيّة الاتساق والانسجام في ديوان أحد عشر كوكبا. ص: 26.

⁵ عزمي محمد عيال سلمان. لسانيات النص وتحليل الخطاب النشأة والتطور. ص: 97.

١. الاتساق التركيبي/ أو المستوى النحوي: تتمثل أدواته في: الإحالة، الاستبدال، الحذف، الربط.

(1) الإحالة: (Référence)

أ/ مفهوم الإحالة: تعدّ الإحالة أحد أهمّ وسائل الاتساق وأكثرها انتشاراً في تشكيل النصوص، بوصفها عملية تضيف اختصاراً على الكلام وتلاحماً بين أجزائه، فيعرّفها كلّ من هاليداي ورقية حسن بوصفها: «علاقة دلالية تتحقق بواسطة ارتباط عنصرين هما المحيل والمحال إليه»¹ حيث يتّضح لنا من خلال هذا التعريف وجود عنصر لغوي يعود على عنصر آخر يفتر إليه ليتّم معناه ووظيفته في النصّ، وقد قسمها الدارسون إلى نوعين باعتبار موقع المحال إليه؛ فإذا كان المحال إليه داخل النصّ كانت إحالة نصيّة؛ وهي الأخرى تتفرّع بدورها إلى قبلية وبعديّة؛ فهي تقوم بالدور الفعّال في اتّساق النصّ أمّا إذا كان المحال إليه خارج النصّ فهي إحالة مقامية تربط النصّ بمقام إنتاجه.²

ب/ وسائل الإحالة في سورة الفرقان: وهي: الضمائر، والأسماء الموصولة، وأسماء الإشارة.

١. الضمائر: بأنواعها؛ المتصلة (بالفعل أو الاسم أو الحرف) والمنفصلة، والدالة على الغائب أو المخاطب أو المتكلّم، مستترة كانت أم ظاهرة، وورودها في الكلام كثير، وفي القرآن كذلك، وهي في سورة الفرقان مختلفة على كثرة، سيأتي تقسيمها إلى: ضمير الغائب المفرد، ضمير المخاطب المفرد، ضمير الجماعة الغائبة، ضمير الجماعة المتكلّمة.

أ/ ضمير الغائب المفرد: على العموم يعود ضمير المفرد الغائب في السورة إمّا على: الله عزّ وجلّ، أو القرآن، أو الكافر.

¹ محمد خطابي. لسانيات النص؛ مدخل إلى انسجام الخطاب. ص: 17.

² ينظر: المرجع نفسه. ص: 17.

1_ الله عز وجل: ومن جملة ذلك الآيات التي تعدد آلاءه ومعجزاته، من قبيل: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ 48 ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ 53 وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا 54 ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ 61 وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا 62 ﴿

فالضمير في الآيات عائد على الله سبحانه وتعالى، وهو قصر إفراد؛ أي لا يشركه غيره في ذلك، «وهذه الآيات مع دلالتها على قدرة الخالق، فيها إظهار لنعمته على خلقه¹» وهو من مقاصد القرآن الأساسية، وفي كلِّها إحالة إما نصية عائدة على كلمة "ربك" في قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا 45﴾ وهو أقرب، وإما مقامية لأن الله سبحانه حاضر في ذهن من يقرأ القرآن أو يتلقاه.

2_ القرآن: وقد جاء في عدة مواضع، أبرزها:

أ_ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا 1﴾ الضمير المستتر؛ اسم يكون عبارة عن إحالة داخلية قبلية مختلف في عائدها؛ فهناك من رأى بأن الضمير المستتر «يعود على عبده» وهو أولى لأنه أقرب إليه،² إذ من المعلوم أن الضمير يعود إلى مذكور قبله إذا كان واحداً، وإلى أقرب مذكور إذا تعدد المذكور، على جواز عوده على الفرقان؛ وتعضد ذلك «قراءة ابن

¹ وهبة الزحيلي. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. دار الفكر. ط1. دمشق. 1991م. ج19. ص: 81.

² أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. دار الكتب المصرية. دط. القاهرة. دت. ج13. ص: 2.

الزبير "عباده"؛ لأن الضمير المفرد لا يصحّ عوده إلى الجمع»¹. وقد جمع بين المعنيين مقاتل بن سليمان حين قال: «ليكون محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن للعالمين نذيراً»².

بـ (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا 48 لِّنُخْضِيَ بِهِ بَلَدَةً مَّيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسِيًا كَثِيرًا 49 وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا 50 ﴿ وَالْعَبْرَةُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ هُنَا بعائد الضمير في الفعل "صرفناه"؛ حيث ردّه بعضهم على المطر على اعتباره أقرب مذكور؛ أي قسمناه بينهم؛ يعني المطر مرة لهذه البلدة ومرة لبلدة أخرى³. «وجوّز فريق أن يكون ضمير صرفناه عائداً إلى غير مذكور معلوم في المقام مراد به القرآن قالوا لأنه المقصود في هذه السورة فإنّها افتتحت بذكره وتكرر في قوله: إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً. وأصل هذا التأويل مروى عن عطاء ولقوله بعده: وجاهدكم به جهادا كبيرا..»⁴ ولبعض المفسرين قول وسط لتحمل المقام كلا الاحتمالين؛ «ولقد صرفناه بينهم أي المطر أو القرآن الكريم بيناه على عدة وجوه لينذكروا الإعجاز في هطوله وإنباته الأرض الجدباء ... وليتفكروا في الإعجاز القرآني من جهة أخرى»⁵ والإحالة المقاميّة على القرآن كثرة ورود في القرآن؛ من ذلك مفتتح سورة القدر؛ إنّنا أنزلناه؛ على اعتباره أمراً معلوماً لدى المخاطب بهذا الكلام؛ وهو الرسول صلى الله عليه وسلم.

جـ- ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا 57﴾ فضمير الهاء يحتمل عدّة عوائد على اختلاف التفسير؛ فهناك من جعل عائده على "الدين" أو على "تبليغ

¹ شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيب. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب حاشية الطيبي على الكشاف. تح: نخبة من الباحثين بإشراف جائزة دبي للقرآن الكريم. ط1. 2013. ج11. ص: 168.

² مجموعة من المؤلفين. موسوعة التفسير المأثور. مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي. دار ابن حزم، ط1. بيروت. 2017. ج16. ص: 9.

³ ابن أبي زمنين. تفسير القرآن العزيز. تح: أبو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز. الفاروق الحديثة. ط1. القاهرة. مصر. 2002م. ج3. ص: 263.

⁴ المرجع نفسه. ص: 263.

⁵ محمد فاروق فارس الزين. بيان النظم في القرآن الكريم. دار الفكر. ط1. دمشق. 2004م. ج3. ص: 180.

الرسالة" ¹ بصفة عامّة، وهناك من جعله عائداً على القرآن خصوصاً؛ فيصبح المعنى: «إنما جئتم بالقرآن ليتخذ به من آمن بربه سبيلاً بطاعته»². فإذا كان عائداً على التبليغ كان إحالة خارجية مقامية، وإذا كان عائداً على القرآن جاز أن يكون إحالة نصية قبلية عائدة على كلمة الفرقان في الآية الأولى، أو الآية 30، ويجوز اعتبارها إحالة مقامية لبعد العهد عن المحال عليه في النصّ.

3_ الكافر: كقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا 43﴾ (وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا 55) ﴿يُضْلَعُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا 69﴾ ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيِّتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا 27﴾

فجملتها إحالات نصية قبلية؛ فتارة تعود على المتبع لهواه، وتارة على لفظة الكافر، وتارة أخرى على الظالم لنفسه أو العاصي.

ب/ ضمير المخاطب المفرد: وعائده في السورة وهو:

1/ النبي صلى الله عليه وسلم: جاءت الإحالة على النبي صلى الله عليه وسلم في الغالب بضمير المخاطب المفرد، وكلها إحالات مقامية تعود على المخاطب المعلوم مسبقاً. المنزل عليه القرآن ليخاطبه، أو ليلبغه خطاباً لغيره، وهي في جملتها أفعال أمر تجلّت في الآيات الموالية:

﴿قُلْ 6﴾ ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ 9﴾ ﴿جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ وَيَجْعَلْ لَّكَ قُصُورًا 10﴾ ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ 15 ... كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا 16﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا 20﴾ ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا 33﴾ ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن

¹ ينظر: أبو منصور الماتريدي. تفسير الماتريدي. تأويلات أهل السنة. تح: مجدي باسلوم. دار الكتب العلميّة.

ط1. بيروت. لبنان. 2005م. ج8 ص: 36.

² ابن أبي زمنين. تفسير القرآن العزيز ج3. ص: 265.

يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُؤًا 41 ﴿ 42 أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا 43 ﴿ 44 أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ 45 ﴿ 46 فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا 52 * ﴿ 53 وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا 56 قُلْ ﴿ 57 وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ 58 ﴿ 59 قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ 77 ﴿

نلاحظ أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لم يأت مجملاً في موضع واحد من السورة، بل مفرقاً على آيات بعيدة عن بعضها، ما يوحي بالتماسك الشديد بين الآيات القريبة منها والبعيدة، وهذا ما يجعل السورة بأكملها كتلة واحدة يربطها خيط رفيع غير مرئي، خصوصاً بكثرة الإحالات المقاميّة من هذا القبيل؛ فهي منذ بدايتها إلى نهايتها تخاطب النبي صلى الله عليه وسلم، إنما يتخلّل هذا الخطاب وعيد للمشركين، وحكاية عن أمم سبقت، وتذكير بآلاء الله سبحانه، وحديث عن عباده المؤمنين.

ج/ ضمير الجماعة الغائبة: ويعود في الجزء الأول من السورة على المشركين، وفي نهاية السورة على المؤمنين الموسومين هنا بصفة: "عباد الرحمن".

1/ «وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا 3 ﴿ الضمير في الفعل "اتخذوا" عائد على الكفار «ولم يذكر له مرجع لفظي لكن مرجعه معلوم بحسب الحال»¹، فهي على هذا الاعتبار إحالة مقاميّة، وهي على اعتبار آخر -أبعد تقديرًا نوعاً ما- إحالة نصيّة؛ إذ يعود «الضمير على الكافرين لاندراجهم تحت

¹ محمد بن صالح العثيمين. تفسير ابن عثيمين: الفرقان. مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية. ط1. المملكة العربية السعودية. 1436هـ. ص: 26.

العالمين أو لدلالة نذيرا عليهم لأنهم المنذرون»¹، والظاهر أنها مقامية على حدّ تعبير ابن عاشور رحمه الله: «وضمير اتخذوا عائد إلى المشركين ولم يسبق لهم ذكر في الكلام وإنما هم معروفون في مثل هذا المقام»² وليس هذا بغريب إذ افتتحت السورة بجملة من الإحالات المقامية، وهي كثيرة في خضمّها أيضا. أمّا ضمير لأنفسهم؛ «فيجوز أن يعود إلى "آلهة" أي لا تقدر الأصنام ونحوها على ضر أنفسهم ولا على نفعهم، ويجوز أن يعود إلى ما عاد إليه ضمير واتخذوا أي لا تقدر الأصنام على نفع الذين عبدوهم ولا على ضرهم»³ فهي على التقدير الأول خارجيّة كضمير "اتخذوا"، وعلى التأويل الثاني إحالة داخلية قبلية على اسم ظاهر قبلها.

12 ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا 4﴾
 ﴿وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكُتِّبَها فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا 5﴾ ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ 7﴾
 فيظهر لنا جليًا في هذه الآيات المتتابعات أنّ عود الضمير على ما افتتحت به الآية الرابعة؛ الذين كفروا، فكلها إذن إحالات داخلية قبلية.

13 ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا 8﴾ ﴿ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا 9﴾ ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا 11﴾ ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَّانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا 12﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَنَا صَيِّقًا مُقَرَّرِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا 13﴾
 أما في هذا
 الآيات فيتغيّر لفظ المحال عليه وإن كان مرادفاً للأول في المعنى؛ فترجع ضمائر الجماعة الغائبة في الآيات على لفظة "الظالمون" التي افتتحت بها الآية ثمانية. وهي كجملة الآيات التي سبقتها في الترتيب إحالات داخلية قبلية.

¹ حافظ الدين أبو البركات النسفي. مدارك التنزيل وحقائق التأويل. تح: يوسف علي بدوي. دار الكلم الطيب. ط1. بيروت. 1998م. ج2. ص: 525.

² ابن عاشور. التحرير والتنوير ج18. ص: 320 / 319.

³ المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

14 ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ أَوْ تَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا 21 يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا 22﴾ وبعد شوط من الانقطاع عن الحديث المباشر عنهم؛ يصفهم الذكر الحكيم أو يسميهم بسمي آخر من صفاتهم الملازمة لكفرهم: "الذين لا يرجون لقاءنا"؛ فنتبعها عدّة إحالات أخر كما سبق التفصيل فيه.

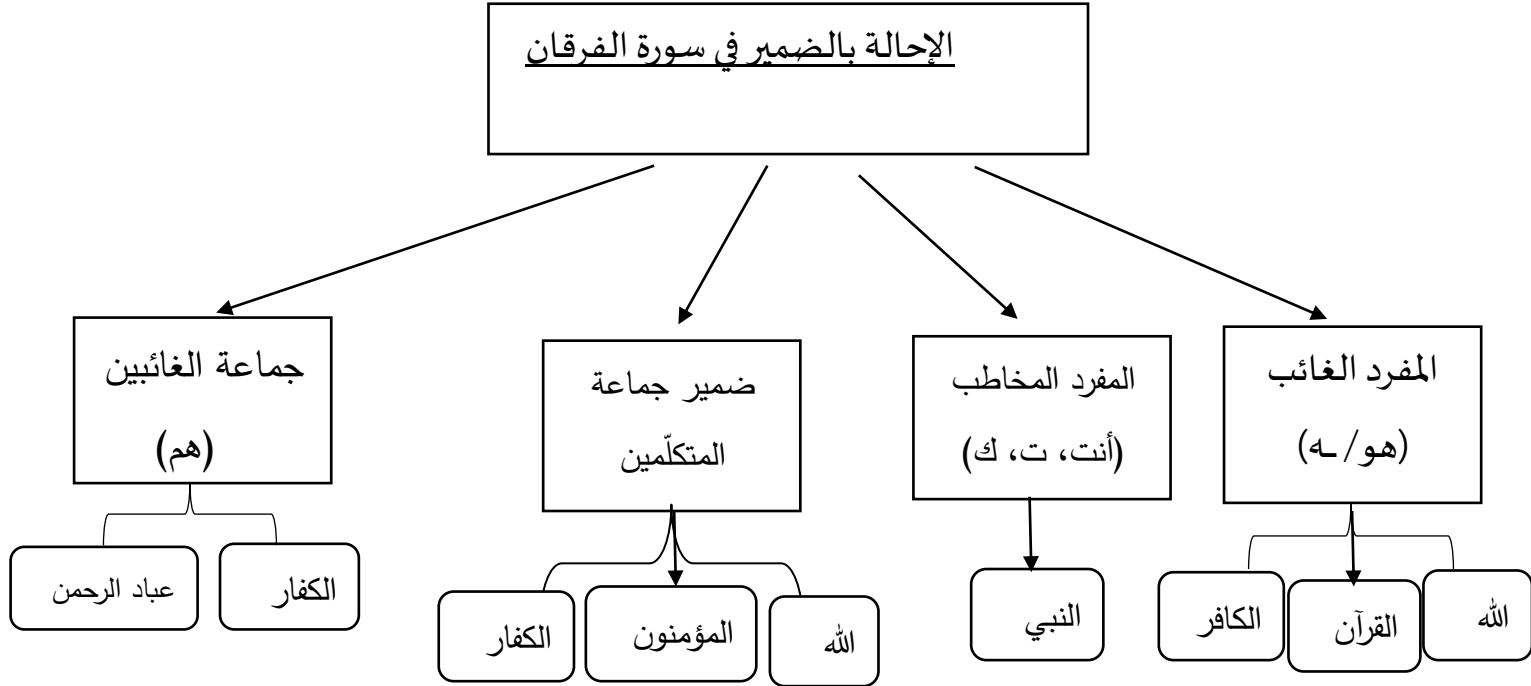
15 ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا 63 وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا 64﴾ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا 67﴾ ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا 75﴾ وضمائر جماعة الغائبين في آخر السورة إحالات نصيّة قبلية عائدة على محال عليه واحد وهو "عباد الرحمن"، وقد جاءت هذا الضمائر متتابعة مما يوحي للمتلقّي بترابطها وتماسكها واتساق أجزائها بعضها ببعض.

6/ ضمير الجماعة المتكلمة: وهي في السورة نفسها "نون العظمة" «التي تجمع كل صفات الكمال والقدرة والقوة والقهر والمنعة»¹، وفيها مواضع عديدة متفاوتة القرب والبعد عن بعضها البعض، وعائدها على الله سبحانه وتعالى الذي اجتمعت فيه صفات الكمال؛ ﴿وَأَعْتَدْنَا 11﴾ ﴿أَرْسَلْنَا 20﴾ ﴿وَقَدِمْنَا ... فَجَعَلْنَاهُ 23﴾ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا 31﴾ ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا 32﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا ... وَجَعَلْنَا 35﴾ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا. 45 ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا 46﴾ ﴿وَأَنْزَلْنَاهُ 48 لِنُحْيِيَ بِهِ... وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا 49 وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ 50 وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا 51﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا 56﴾

فجميع هذه الآيات تشتمل على إحالات مقامية عائدة على الله سبحانه وتعالى.

¹ محمد الهلال. تفسير القرآن الثري الجامع. دار المعراج. ط1. دمشق. سوريا. 2022م. ج2. ص: 265.

وفيما يلي مخطّط يوضّح أنواع الإحالة بالضمير في سورة الفرقان، وعائد كلّ واحدة منها.



(الشكل 1: الإحالة بالضمير في سورة الفرقان)

2. الأسماء الموصولة: ومنها العامة (من للعاقل، ما لغير العاقل)، ومنها الخاصّة (الذي التي

للمفرد، اللذان اللتان للمثنى، الذين اللائي/ اللاتي للجمع)، وهي بدورها من الوسائل الإحاليّة

التي من شأنها الربط بين أجزاء النص من خلال وجود خاصيّة الافتقار في الاسم الموصول؛

فهو يفتقر لما يتمّ معناه؛ ويعود بدوره على لفظ سبقه في النظم.

ويمكن تقسيم الأسماء الموصولة الواردة في سورة الفرقان إلى ثلاثة أقسام؛ أحدها يعود

على الله سبحانه وتعالى وهو الضمير الأكثر وروداً "الذي" موزّعا على أجزاء السورة من أولها إلى

آخرها، غير منحصر في جزء منها، والثاني يعود على الأول من السورة، والثالث ضمير الجماعة

الغائبة الموجود في آخر السورة وعائده المؤمنون الموسومون ب: عباد الرحمن، حيث إنّ هناك

اشتركا بين المحال عليه بالضمير وبالاسم الموصول، فيمكن تصنيفها على النحو التالي:

أ_ ما يحيل على الله:

الاسم الموصول	المحال عليه	نوع الإحالة
﴿الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ﴾	الله	مقاميّة
﴿الَّذِي يَعْلَمُ الْسِّرِّ﴾ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ﴾	الله	مقاميّة
﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيْحَ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ﴾	ربّك	داخليّة قبلية
﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾	ربّك	داخليّة قبلية
﴿الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾	الحيّ	داخليّة قبلية
﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾	الله	مقاميّة

(الشكل 2: الآيات التي تتضمن إحالة على الله سبحانه)

ب_ ما يحيل على الكفار:

الاسم الموصول	المحال عليه	نوع الإحالة
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	الكفار	مقاميّة
﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ﴾	المكذب/ الكافر	مقاميّة
﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾	الكفار	مقاميّة
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ﴾	الكفار	مقاميّة
﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ﴾	الذين كفروا	داخليّة قبلية

﴿الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا﴾	القوم	داخلية قبلية
﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا 42 أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾	الكافر	مقامية

(الشكل 3: الآيات التي تتضمن إحالة على الكفار)

جـ. ما يحيل على المؤمنين (عباد الرحمن)

الاسم الموصول	المحال عليه	نوع الإحالة
﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾	عباد الرحمن	داخلية قبلية
﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ﴾	//	داخلية قبلية
﴿66 وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا﴾	//	داخلية قبلية
﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا﴾	//	داخلية قبلية
﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾	//	داخلية قبلية
﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾	//	داخلية قبلية
﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا﴾	//	داخلية قبلية

(الشكل 4: الآيات التي تتضمن إحالة على المؤمنين)

انطلاقاً من هذا الاستقراء الشمولي للأسماء الموصولة في السورة، فإنه يتبين تكامل بينها وبين الضمائر، حيث تتداولان الربط بين الآيات وأحياناً يتلازمان مع بعضهما مثل قوله تعالى "هو الذي.. " وتشتركان في العائد أو المحال عليه في كثير من المواضع، وهذا إن دلّ فإنما يدلّ على حصر المواضيع التي تتناولها السورة وتماسكها فيما بينها.

3. أسماء الإشارة: وهي الأخرى بدورها تنقسم إلى أنواع؛ غير أنّ «هناك عدة إمكانيات لتصنيفها؛ إما حسب الظرفية؛ الزمان (الآن، غدا).. والمكان (هنا، هناك).. أو حسب الحياد أو الانتقاء (هذا، هؤلاء)، أو حسب البعد (ذاك، تلك) أو القرب (هذه، هذا)¹. وسنقف بإذن الله على المتداول منها بكثرة نظرا لاختلاف المحال عليه بوساطتها، إذ ليست من قبيل الضمائر أو الأسماء الموصولة التي سهل حصر ما تحيل عليه، فأسماء الإشارة وإن تكررت بلفظها إلا أنّها مرتبطة ارتباطا وثيقا بسياقها القريب منها سواء أكان داخليا أم خارجيا.

أ- ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ أَفْتَرْتَهُ 4﴾ ولا خلاف في أنّ إحالة اسم الإشارة تعود «إلى القرآن حكاية لقولهم حين يسمعون آيات القرآن»² فاستغني باستحضار المشار إليه عن ذكره بعد اسم الإشارة فهي إحالة مقامية؛ «لأن تمييزه عند المخاطب مغن عن الإشارة إليه بإطلاق اسم الإشارة حينئذ واضح. وأصل أسماء الإشارة أن يستغنى بها عن زيادة تبين المشار إليه تبيينا لفظيا لأنّ الإشارة بيان»³

ب- ﴿إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا 30﴾ وإن كان اسم الإشارة هنا حاله في المحال عليه حال الآية التي سبقت، إلا أنّ بينهما شيئا من الاختلاف، يكمن في نوع الإحالة والغرض منها، فالإحالة هنا داخلية يعود فيها اسم الإشارة "هذا" على ما بعده، حيث جيء بلفظة القرآن هنا لأنّ الآية على لسان النبي صلى الله عليه وسلم، بغرض تعيين المقصود بالإشارة «وتمييز المسند إليه باسم الإشارة لينقرر الحكم له من الأساليب الشائعة في الكتاب العزيز»⁴

¹ محمد خطابي. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب. ص: 19.

² ابن عاشور. ج18. ص: 323.

³ ابن عاشور. ج1. ص: 714.

⁴ محمد أبو موسى. خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني. مكتبة وهبة. ط7. ص: 200. 202.

ج- ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ ۖ﴾ ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ۚ﴾ وكلتا الآيتين على اختلافهما من مقول الكفار، وعائد اسم الإشارة هنا على الرسول وهو مذكور في سياق الآيتين الكريمتين بعد اسم الإشارة؛ فهي إحالة داخلية بعدية، ولعل الغرض من الإحالة باسم الإشارة هنا هو: التهكم، وهو من الأغراض التي يُقصد استعمال اسم الإشارة لأجلها.

د- ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۖ﴾ اسم الإشارة في مطلع الآية عائد على معاني معلومة من المقام، ومن ظاهر السورة فيما سبق؛ أي «وكما جعلنا لك يا محمد أعداء من مشركي قومك، كذلك جعلنا لكل من نبأناه من قبلك عدوا من مشركي قومه، فلم تخصص بذلك من بينهم»¹ فهي إحالة مقامية إلى خارج النص مما شهدته النبي صلى الله عليه وسلم من عداوة المشركين، وقد سبق بعض ذلك في أول السورة.

هـ- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۚ﴾ اسم الإشارة "ذلك" يجوز أن يكون فيه إحالة مقامية حيث عُلِمَ أَنَّ الإنزال كان مفرقا، «أي أنزلناه إنزالا كذلك، والإشارة إلى مدلول قولهم لأن معناه: لم لم ينزل القرآن مفرقا؟ فأعلم أن ذلك "لنثبت به فؤادك" بتفريقه»² فيمكن اعتبارها إحالة داخلية قبلية على قول مضمّن غير مصرّح به في الجملة التي قبله؛ «فإن اسم الإشارة المفرد يتميز بما يُسمى "الإحالة الموسعة" أي إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها، أو متتالية من الجمل».³

¹ محمد بن جرير الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. دار التربية والتراث. دط. مكة المكرمة. دت. ج17. ص: 444.

² كتاب تفسير ابن كمال باشا. شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا. تح: ماهر أديب حبوش. مكتبة الإرشاد. ط1. إسطنبول. تركيا. 2018م. ج7. ص: 332.

³ محمد خطابي. لسانيات النص. مدخل إلى انسجام الخطاب. ص: 19.

و- ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا 75﴾ ﴿فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا 76﴾ واسم الإشارة أولئك في الآيتين عائد على ما قبله وإن بُعد لطول الفصل؛ أي "عباد الرحمن"؛ وذكره «للتنبية على أن ما يرد بعده كانوا أحرىء به لأجل ما ذكر قبل اسم الإشارة¹» ففيها معنى الاختصاص.

يتبين لنا من خلال ما سبق الوقوف عليه من الإحالة باسم الإشارة أنها أقل ورودا في العموم من الضمائر والأسماء الموصولة، وهي كذلك في الكلام العادي، لأن الإشارة إنما تكون لغرض؛ وقد تبين في معظم المواضع غرضها؛ من اختصاص أو تحقير أو تعيين.

ج/ أهمية الإحالة:

إن الإحالة بنوعها ذات أهمية بالغة لا ينكرها باحث في تحقيق مظاهر الاتساق، وإكساب النص نصيته، غير أن لكل نوع منها أهميته الخاصة؛ حيث تتجلى أهمية الإحالة النصية في قيامها بدور مباشر وفعل في تحقيق اتساق أجزاء النص وتماسكها تماسكا متينا بينا، في حين تتمثل أهمية الإحالة المقامية في كونها حلقة وصل بين اللغة وسياق مقامها الذي وردت فيه، وإن كانت تسهم في تحقيق اتساق النص لكن بطريقة غير مباشرة²، أما النوع الأول فقد تجلت أهميته في تقادي تكرار الأسماء التي أغنى ذكرها مرة أو اثنتين عن إعادتها مثل: الضمير العائد على الذين كفروا، فقد جعلت الإحالات التي تعود عليهم في كل مرة تذكرنا بأن النص متسق لا يستغني لاحقه عن سابقه، أما النوع الثاني فلعل أبرز ما ظهر من فوائده في السورة المساهمة في فهم الشبه الذي بنى عليها المشركون إنكارهم، من خلال ربطها بسياقهم وسياق نزول السورة، وكذلك ما سُلِّي به النبي صلى الله عليه وسلم، وما من شأن دحض ما قيل عنه.

¹ ابن عاشور. ج 19 ص: 84.

² ينظر: محمد خطابي. لسانيات النص. مدخل إلى انسجام الخطاب. ص: 17، 18.

2) الاستبدال: (Substitution)

أ/ مفهومه: إن الاستبدال باعتباره ثاني وسيلة من وسائل الاتساق يعدّ «صورة من صور التماسك النصي التي تتم في المستوى النحوي المعجمي بين كلمات أو عبارات، وهو عملية تتم داخل النص؛ إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر، وصورته المشهورة إبدال لفظة بكلمات مثل: ذلك وأخرى وأفعل، مثال: هل تحب قراءة القصص؟ نعم أحب ذلك¹». فنلاحظ أنّ لفظة ذلك التي تعدّ إحالة باسم الإشارة؛ من جهة أخرى جاءت عوضاً عن جملة سبقتها، فأحالت على كلام سبق دون الإخلال بمضمونه، وهذا هو مربط الفرس في الفرق بين الإحالة والاستبدال؛ وهو أنّ هذا الأخير وسيلة تلعب على الوتر النحوي المعجمي، بينما تشغل الإحالة على المستوى الدلالي².

ب/ أنواعه: ينقسم الاستبدال باعتبار المستبدل إلى ثلاثة فروع:

1 الاستبدال الاسمي: هو ما يحلّ محلّ اسم ما، ليؤدّي وظيفته التركيبية؛ ومثاله في السورة: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا 22﴾ لفظة "يومئذ" الدالة على يوم القيامة، جاءت عنصراً استبدالياً عوض ما قبلها من كلمة "يوم" وما أضيفت إليه.

﴿وَقَوْمٌ نُوْحٌ لَّمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا 37﴾

حيث جاءت تسمية "الظالمين" في الآية عنصراً استبدالياً عن تسمية "قوم نوح".

2 الاستبدال الفعلي: هو ما يحلّ محلّ فعل ما ليؤدّي وظيفته التركيبية³. مثل:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا 68﴾

فقوله تعالى "يفعل" قام مقام: ومن يدع مع الله إلهاً آخر ويقتل النفس

¹ نعمان بوقرة. المصطلحات الأساسية في لسانيات النص. ص 83.

² ينظر: محمد خطابي. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب. ص: 19.

³ ينظر: المرجع نفسه. ص: 20

التي حرم الله ويزني، إذن فالفعل "يفعل" حلّ محلّ ثلاثة أفعال من خلال اتصاله بعنصر استبدالٍ آخر هو: "ذلك" ما أغنى عن إعادة تكرار الجملة.

3_ الاستبدال القولِي: هو ما يحلّ محلّ قول برمّته، أو جملة، ونجد بين هذا النوع من الاستبدال وبين الإحالة الإشاريّة بعض التداخل؛ ذلك أنّ «اسم الإشارة المفرد يميّز بما يُسمى "الإحالة الموسّعة" أي إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها، أو متتالية من الجمل».¹ فكانت هذه نقطة التقاء بينهما، وسنعرض في هذا القسم إلى ما نراه أقرب ما يكون للاستبدال منه إلى الإحالة؛ مثال ذلك قوله سبحانه وتعالى:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ فُصُورًا 10
﴿فالعنصر اللغويّ "ذلك" عوض ما جاء قبله من كلام أهل الباطل؛ ﴿أَوْ يُلقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ
جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا 8﴾ أي جعل لك خيرا من الكنز والجنة التي اقترحوها.

﴿وَعَادًا وَثُمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّيْسِ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا 38﴾ ولا يخفى على القارئ أنّ اللفظ "ذلك" جاء بديلا يختصر ما قبله؛ وتقدير الكلام: وقرونا بين عاد وثمود وأصحاب الرّس، فكانت هذه الصياغة لمحة من الاختصار الذي يضيفي على النّظم المختصر تماسكا شديدا.

ج/ أهمية الاستبدال:

عند وقوفه على هذه المرحلة يطرح محمّد خطابي سؤالاً مهماً: كيف يساهم الاستبدال في اتّساق النّص؟ إذ ليس المراد من البحث عن أهميّة الاستبدال الرجوع إلى نقطة الانطلاق وهي كونه وسيلة لتحقيق الاتساق، بل كيف له أن يحقّق الاتساق؟ «يكنم الجواب في العلاقة بين العنصرين المستبدل والمستبدل؛ وهي علاقة قبلية بين عنصر سابق في النّص وعنصر لاحق فيه، ومن ثمّ

¹ محمد خطابي. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب. ص: 19.

يمكن الحديث عن الاستمرارية، أي وجود العنصر المستبدل بشكل ما في الجملة اللاحقة¹ «أضف إلى ذلك استحالة فهم ما يعنيه العنصر اللاحق إلا بالرجوع إلى المتعلق به قبلًا، ومن تلك العلاقة تستمد قيمتها الاتساقية².

وهكذا يتبين «أنّ للاستبدال دوراً أساسياً في اكتشاف العناصر اللغوية التي يمكن أن يحل أحدها مكان الآخر وتحديد توزيعها³»، وما في ذلك من ميل إلى الاختصار والإيجاز.

(3) الحذف: (suppression)

أ/ مفهومه: وهو ثالث الوسائل المهمة في تحقيق الاتساق، ويعدّ «من القضايا المهمة التي عالجتها البحوث النحوية والبلاغية والأسلوبية؛ بوصفه انحرافاً عن المستوى التعبيري العادي... ويتحدّد الحذف بأنه علاقة تتم داخل النصّ فمعظم أمثله تبين أنّ العنصر المحذوف موجود في النصّ السابق؛ مما يعني أنّ الحذف ينشئ علاقة قبلية. ولا يختلف الحذف عن الاستبدال إلا بكونه استبدالاً بالصفّر؛ إذ لا يحل محلّ المحذوف أي شيء مما يترك في الجملة التالية فراغاً في البنية يهتدي المتلقي إلى ملئه بالعودة إلى ما ورد في الجملة السابقة، مثل: يأكل المسكين خبزاً ورفيقه ثريداً⁴» ففي الجملة الثانية: "ورفيقه ثريداً" حذف لا يمكن للمعنى أن يستقيم به إلا إذا تمّ الرجوع إلى الجملة السابقة حيث يسدّ الفعل "يأكل" ذلك الفراغ.

ب/ أنواعه: لقد حظي الحذف كغيره مما سبق من الوسائل بتقسيم أشبه ما يكون بتقسيم الاستبدال؛ فنجد: الحذف الاسمي، الحذف الفعلي، والحذف في شبه الجملة.⁵

¹ محمد خطابي. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب. ص: 21.

² ينظر: المرجع نفسه. ص: 21.

³ محمود أحمد نحلة. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. دار المعرفة. ط. الإسكندرية. 2002. ص: 205.

⁴ نعمان بوقرة. المصطلحات الأساسية في لسانيات النص. ص: 107.

⁵ ينظر: محمد خطابي. مرجع سابق. ص: 22.

أولاً: الحذف الاسمي: ويعني حذف اسم داخل المركب الاسمي؛ دلّ عليه ما ورد قبله، ومثاله في السورة قوله تعالى:

أ- ﴿وَقَالُوا أَأُطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ بَكْرَةً وَأَصِيلًا 5﴾ جاءت الجملة معطوفة على ما قبلها في قولهم ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِنْكَافُتْرُهُ 4﴾ فابتدئ بكلمة "أساطير" وهي خبر لمبتدأ محذوف، يقدره ما سبقه؛ ويستغنى به عن تكرار اسم الإشارة العائد على القرآن الكريم؛ وتقدير الكلام: وقالوا هذا أساطير الأولين.

ب- ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا 44﴾ ينتهي الكلام عند فاصلة هذه الآية بثغرة سهلة الملء بما سبقها، حيث يحتاج اسم التفضيل إلى مفضل عليه، وحذف المفضل عليه جائز في كلام العرب¹ إذا عُلم من المقام أو سياق الكلام، وهو في الآية واضح بسبب ما سبقه من مقارنة بين أهل الضلال والأنعام، ثم مقارنة بهم وجعلهم أشدّ منهم ضلالاً؛ فتقدير الكلام: بل هم أضلّ سبيلاً من الأنعام.

ج- ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا 71﴾ حذف المفعول المطلق "عملاً"؛ فدلّ عليه الفعل قبله، ودلّت عليه الآية التي سبقت أيضاً. «فكلّ ما كان معلوماً من القول جارياً عند الناس فحذفه جائز؛ لعلم المخاطب²»

ثانياً: الحذف الفعلي: أي الحذف داخل المركب الفعلي. ومثاله في السورة كالاتي:

أ- ﴿وَقَوْمٌ نُّوحٌ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ٣٧ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا 37 وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّيِّسِ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا 38﴾ محلّ الحذف بين الآيتين؛ بين الواو

¹ ينظر: أبو إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي. المقاصد الشافية شرح ألفية ابن مالك للشاطبي. معهد البحوث

العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى. ط1. مكة المكرمة 2007. ج5. ص: 600.

² المبرد، المقتضب. تح: محمد عبد الخالق عزيمة. عالم الكتب. (د. ط. ت). بيروت. ج2. ص: 130.

العاطفة والاسم المنصوب بعدها "عاداً"؛ وقد اختلف في تقدير المحذوف؛ فقليل كَلَّه معطوف على قوم نوح، إذا كان قوم نوح منصوباً على العطف، أو بمعنى انكر؛ فيصير الفعل المحذوف على هذا التقدير هو الفعل "انكر" الذي حُذِفَ أيضاً قبل قوم نوح، وقد استعين بالمقام وعادة قصص القرآن في تعيينه، ويجوز أن يكون كَلَّه منصوباً على أنه معطوف على المضمر في "قدمناهم"؛ فيكون على هذا التأويل الفعل "دمرنا" هو المحذوف، أو معطوفاً على المضمر في جعلناهم؛ فيصبح الفعل المحذوف تبعاً لهذا التفسير هو الفعل "جعلنا"¹. وفي كلِّ التقديرات وأقوال أهل التفسير، لا تخرج هذه الآية من تصنيفها ضمن الحذف الفعلي سواء أكان المحذوف مقدراً بـ: انكر، أو دمرنا، أو جعلنا.

بـ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ ذُشُورًا 47﴾ الفعل "جعل" قبل المفعول به "النَّوْمَ" محذوف يدلّ عليه ما قبله، وهو معطوف عليه، ويؤكد ما جاء بعده أيضاً.

ثالثاً: الحذف في شبه الجملة: ومثاله في السورة: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ 15﴾ يظهر في نظم الآية حذف عند الوقوف؛ يُستدلّ عليه بما سبقه؛ قلْ أَذَلِكَ خير أمْ جَنَّةُ الخلد التي وعد المتقون خير.

ج/ أهمية الحذف:

لعلّ الحذف من أكثر وسائل الاتساق التي خاض الدارسون في أهميتها؛ إذ لا يخلو كلام من حذف، «ويستمد الحذف أهميته من حيث أنه لا يريد المنتظر من الألفاظ، ومن ثم يفجر في ذهن المتلقي شحنه توقظ ذهنه وتجعله يفكر فيما هو مقصود»² كما يقدم الإضمار «مثالاً إيضاحياً على المراجعة بين الإيجاز والوضوح؛ ففي استغلال النصوص دون إضمار مضيعة

¹ ينظر: تفسير القرطبي. ج13. ص: 32.

² نعمان بوقرة. المصطلحات الأساسية في لسانيات النص. ص: 107.

للوقت والجهد، من جهة أخرى يؤدي الإسراف في الإضمار إلى تبديد ما توفر من وقت وجهد، وذلك لما يقتضيه من تكثيف في البحث وحل المشكلات»¹ وقد نصّ الجرجاني على أهميته وكونه ضرورة في الكلام فقال عنه: «هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تُبَيِّن»² كما أنّه مما يجذب ويستهوِي إصغاء السامع، فالنفوس لا تميل إلى ما كان ظاهرا مكشوفاً بكلّيته، وهو ما تميّز به النصّ القرآنيّ عموماً، بطريقة تثير انتباه السامع، حيث رأينا كيف أسهم الحذف في السورة بالنّقر على زرّ التساؤل عن المحذوف، ومن ثمّ تظهر فطنة المتلقي في تقدير المضمّر، ولعلّ الخلاف بين المفسرين في آية: ﴿وَعَادًا وَثُمُودًا وَأَصْحَبَ الرَّيْسِ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا 38﴾ مما يزيد المتلقي نشوة في الخوض بين اختلاف المعنى على كلّ تقدير، ومحاولة ضبط الموازين وترجيح المعاني على بعضها.

4) الرّبط: (Coordination)

أ/ مفهومه: ويسمّى الوصل أيضاً؛ وهو آخر ما سنتطرّق إليه من أدوات الاتساق التركيبية، «وهو مختلف عن كلّ أنواع علاقات الاتساق السابقة، وذلك لأنّه لا يتضمّن إشارة موجّهة نحو البحث عن المفترض فيما تقدّم أو ما سيلحق، كما هو شأن الإحالة والاستبدال والحذف»³ إنّما هو وسيلة تربط اللاحق بالسابق بانتظام ومراعاة للمعنى.

ب/ أنواعه: وكأيّ أداة من أدوات الاتساق يتفرّع الرّبط هو الآخر إلى فروع أربعة تفرّعا قائما على معيار الدّلالة؛ لحصر أدوات الرّبط على تنوّعها، فكانت كالآتي:

¹ روبرت ديوجراند وآخرون. مدخل إلى علم لغة النص. مطبعة دار الكاتب. ط1. 1992م. ص: 105.

² عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. تح: محمود محمد شاكر. مطبعة المدني، ط3. القاهرة. 1992م. ج1. ص: 146.

³ محمد خطابي. لسانيات النص. مدخل إلى انسجام الخطاب. ص: 22.

أولاً: الرّبط الإضافي: ويتمّ هذا النوع بواسطة أداتين هما: الواو، أو¹، ومثاله في السورة كثير؛ نأخذ له نماذج منها:

أ- الواو:

1/ ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ

فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا 2﴾ نلاحظ في هذه الآية عطف جمل على بعضها البعض؛ فالجمل الثلاثة: ولم يتخذ، ولم يكن، وخلق؛ كلها معطوفة على صلة الموصول داخلة فيها، ويظهر أثر هذا في

الاختصار وتجنّب التكرار، كما أنّ العطف بالواو يفيد الاشتراك في الحكم مع المعطوف عليه.

2/ ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا 3﴾

تكرّر العطف بالواو في الآية في سياق النفي خمس مرّات؛ عوض أن يؤتى بالحرف "أو" مكانه؛ وذلك لتأكيد النفي بتكراره وعطفه على ما قبله.

3/ ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا 64 وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا

كَانَ غَرَامًا 65﴾ الجزء الأخير من السورة لا يخلو من عطف الآيات على بعضها البعض بحرف

الواو، وذلك لأنها تعرض صفات متلاحقة لعباد الرحمن، والوصل بين هذه الآيات أقرب من الفصل

لأنّ من شرط العطف بالواو: «أن يتوافر بين الجملتين السابقتين والمتلاحقة شرطاً: التغاير في المعنى

من جهة، والتناسب بين معنييهما المتغايرين من جهة أخرى²» وهو ما يطرد في نهاية السورة عند

تعداد تلك الصفات المتغايرة غير أنّها متناسبة.

ب- أو:

¹ ينظر: محمد خطابي. لسانيات النص. مدخل إلى انسجام الخطاب. ص: 23.

² عبد الرحمن حبنكة الميداني. كتاب البلاغة العربية. دار القلم. ط1. دمشق. 1996م. ج1. ص: 580.

1/ ﴿لَوْلَا أَنْزَلْ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا 7 أَوْ يُنْفِثَ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا 8﴾

الآيتان من مقول الكفار؛ وقد ورد فيها استعمال العاطف "أو"؛ وذلك لإيراد اقتراحاتهم، إذ أنّ من معاني أو العاطفة: التخيير، والإباحة، الشك، والتفصيل، والإبهام¹. وتبدو دلالة التخيير هي الأقرب هنا؛ لما يتناسب مع إيراد الاقتراحات التي أوردوها.

ثانياً: الربط العكسي: وسمي بذلك لأنه يأتي غالباً بعكس ما هو متوقع؛ ويكون باستخدام أداتي العطف: بل، ولكن، ومثاله في السورة:

أ- لكن:

1/ ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يُثْبِتُنَا لَنَّا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعِبَاءَهُمْ حَتَّى

ذُشُوا الذِّكْرَ 18﴾ جيء بحرف العطف "لكن" كرابط بين الجملتين السابقتين واللاحقة؛ «وشأن "لكن" أن تكون جملتها مفيدة معنى يغيّر معنى الجملة الواقعة قبلها، ولا تدل عليه الجملة السابقة، وذلك هو حقيقة الاستدراك الموضوعية له "لكن"، وأكثر وقوعها بعد جملة منفية، لأن النفي معنى واسع، فيكثر أن يحتاج المتكلم بعده إلى زيادة بيان، فيأتي بالاستدراك²».

ب- بل: تعدّ بل حرف عطف إذا عطفت مفرداً على مفرد، «فإن تلاها جملة لم تكن للعطف، بل تكون حرف ابتداء مفيداً للإضراب الإبطالي أو الانتقالي³». وهو الموجود في السورة.

1/ ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمِطِرَتْ مَطَرُ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ ذُشُورًا 40﴾

¹ ينظر: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي. الجنى الداني في حروف المعاني. تح: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل. دار الكتب العلمية. ط1. بيروت. لبنان. 1992م. ص: 232.

² ابن عاشور. التحرير والتنوير ج8. ص: 193.

³ مصطفى الغلاييني. جامع الدروس العربية. المكتبة العصرية. ط28. صيدا. بيروت. 1993م. ج3. ص: 248.

الحرف "بل" في الآية لا يفيد العطف، بل يفيد الإضراب الانتقالي عن الاستفهام في قوله: «ألم يكونوا يرونها»، والمعنى أنهم كانوا يرون هذه القرية بأعينهم، ولكنهم كانوا لا يرجون نشورا؛ فمن شأن الإضراب الانتقالي نفي ما سبق وإثبات ما سيأتي¹ فأفادت "بل" وصلا عكسياً بين الجملتين.

2/ ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا 44﴾ حرف "بل" في هذه الآية يفيد الإضراب الإبطالي²؛ «والفرق بين الإضراب الانتقالي والإضراب الإبطالي أنه في الإضراب الإبطالي يكون الأول ملغى، والعمدة على الثاني، وأما في الإضراب الانتقالي فالأول باق على ما هو عليه، والثاني استثنائي، لا علاقة له بالأول³»، فقد أُلغِيَ وأُبطِل في هذه الآية مماثلتهم للأنعام، واعتمد على الثاني في كونهم أضلّ منهم، «وكذلك الأصل في "بل" أن يكون ما بعدها أقوى مما قبلها⁴»

ثالثاً: الربط السببي: وهو ما يوحي للمتلقى بالعلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر؛ كعلاقة الشرط والسبب والنتيجة⁵. ومثاله في السورة:

1/ ﴿وَقَوْمٌ نُّوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرَّسْلَ أَغْرَقْنَاهُمْ 37﴾ حرف "لَمَّا" في الآية يربط الفعلين "كذبوا" و "أغرقنا" لما بينهما من علاقة سبب ونتيجة، ما يجعل الجملة متلاحمة، فالعلاقة بين الشرط وجوابه إلزامية، أحدهما ناقص دون الآخر.

2/ ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا 63﴾ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا 67﴾ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا 72﴾ وَالَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ

¹ ينظر: عبد الكريم يونس الخطيب. كتاب التفسير القرآني للقرآن. دار الفكر العربي. دط. القاهرة. دت. ج10. ص: 28.

² ينظر: محمد الهلال. تفسير القرآن الثريّ الجامع ج8. ص: 40.

³ ابن عثيمين. تفسير ابن عثيمين الزمر. مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين. ط1. السعودية. 1436هـ. ص: 102

⁴ أبو العباس البسيلي التونسي. نكت وتنبهات في تفسير القرآن المجيد. تح: محمد الطبراني. منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. ط1. المغرب. 2008م. ج2. ص: 339

⁵ ينظر. محمد خطابي. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب. ص: 23.

لَمْ يَجْرُوا عَلَيْهَا ضَمًّا وَعُمِيَانًا ﴿73﴾ الشاهد في الآيات: حرف الشرط "إذا"؛ والمعلوم أن: «الفرق بين وإذا أنَّ الأصل عدم جزم وقطع المتكلم بوقوع الشرط في المستقبل مع "إن"، ومن ثمَّ كثر أن تستعمل إن في الأحوال التي يندر وقوعها، ووجب أن يتلوها لفظ "المضارع" لاحتمال الشك في وقوعه، بخلاف "إذا" فتستعمل بحسب أصلها في كلِّ ما يقطع المتكلم بوقوعه في المستقبل، ومن أجل هذا لا تستعمل إذا إلا في الأحوال الكثيرة الوقوع، ويتلوها الماضي لدلالته على الوقوع والحصول قطعاً»¹. وقد جاءت هذه الآيات الأربع في وصف عباد الرحمن؛ فكان الشرط وجوابه متحققي الوقوع لا مجال للشك فيهما؛ فبيّنت الآيات أنَّه من شأن عباد الرحمن أن يخاطبهم الجاهلون، وأن ينفقوا، وأن يمرّوا باللغو، وأن يُذكّروا بآيات ربّهم، وكلّ شرط منها مستلزم لفعل من أفعالهم استلزاما قطعياً، يزيد النص تماسكا والتحاماً والمعنى ترسيخاً.

3/ ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا 68﴾ تربط "من" حرف الشرط في الآية -كحال أدوات الشرط- بين الشرط وجوابه؛ فقد ربطت بين فعل المعاصي المذكورة جزائها الحتمي المترتب عليها.

رابعاً: الربط الزمني: وهو ما دلّ على تتابع زمني بين جملتين بواسطة أداة الربط، وأبرز أدواته: ثمّ، الفاء.. والفاء «تؤذن أن الثاني منها بعد الأوّل، وثمّ مثلها في هذا إلا أنها تؤذن بتراخٍ أزيد ممّا في الفاء»². ومثاله في السورة:

أ- الفاء:

1/ ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا 2﴾ يظهر لنا جلياً في الآية أنَّ تهيئة المخلوق لما خلق له عقب خلقه مباشرة. فربطت الفاء بين الجملتين وزادت معنى التعقيب الفوري.

¹ أحمد الهاشمي. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع. المكتبة العصرية. دط. بيروت. دت. ص: 151.

² أبو عليّ الفارسي. الإيضاح العضدي. تحقيق: حسن شاذلي فرهود. كلية الآداب - جامعة الرياض. ط1.

السعودية. 1969. ص: 286

2/ ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا 23﴾ جيء بحرف العطف الفاء لترتيب

الأفعال وهو الأنسب إذ «فجعلناه باطلا لأنهم لم يعملوه لله وإنما عملوه للشيطان»¹ فلا يحتاج ذلك إلى مهلة لتفحص العمل قبل جعله هباء منثورا.

3/ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا 50﴾ إيراد حرف العطف "الفاء" في

هذا المقام دلالة على سرعة تكذيبهم، إذ لم يحتج الأمر منهم إلى تدقيق أو تفكير قبل الإنكار، إنما أنكروا مباشرة.

ب- ثم:

1/ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا 45 ثُمَّ

قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا 46﴾ وظف حرف العطف "ثم" لتحقيق الاتساق النصي بين الجمل

الثلاث؛ لإفادته الترتيب مع التراخي ذلك أن الظل يقبض شيئا فشيئا مع ميل أشعة الشمس؛ وهو أمر لا يحدث مباشرة بل يستغرق وقتا، وما يتيح ذلك أن هذه الأفعال متعاقبة تعاقبا زمنيا.

ج/ أهمية الربط:

بعد محاولة التأثيل لهذا المصطلح النصي يمكننا القول بأن العلماء العرب الأوائل لم

يشيروا إلى الربط ومفهومه إشارة تؤكد إدراكهم لدوره وقيمه باعتباره قرينة لفظية أو بوصفه ظاهرة

تركيبية مؤثرة على توثيق عناصر التراكيب والجمال العربية وتماسكها؛ وإنما جاءت إشارات تمثل

بعض الملاحظات المبنوثة هنا وهناك في ثنايا الأبواب النحوية بحيث لا يمكننا القول معها بأنهم

أدركوا قيمة الربط أو وقفوا على أهميته باعتباره عنصرا أساسيا من عناصر التماسك بين أجزاء

الجملة أو أن لهم نظرة منهجية أو رؤية علمية شاملة حول فاعلية الربط، فلم يشير هؤلاء العلماء

العرب الأوائل وهم يتناولون الحروف بأنواعها؛ الجارة والعاطفة والأدوات على اختلافها ووظائفها

¹ ابن جرير الطبري. جامع البيان ج19. ص: 257.

من شرط أو تأكيد أو استثناء ونحوها إلى دورها كقرينة لفظية¹ غير أنه «لم يأت إدراك العلماء المحدثين لقيمة الربط وأهميته إلا في المراحل الأخيرة في أطوار النظرية التوليدية التحويلية في إطار فعاليات نظرية النحو الكلي²» وخلاصة القول أنّ أهميّة الربط تتمثل في كونه وسيلة لإضافة معلومات إلى أخرى، أو معلومات مغايرة للسابقة، أو معلومات مترتبة عمّا سبقها، وبالتالي فإنّ وظيفة الربط تكمن بدرجة أساسية في تقوية الأسباب الرابطة بين الجمل، وجعلها متماسكة، ولذلك يعدّ أداة اتّساق لا غنى عنها في أيّ نصّ.³ وربما أغنى الوقوف على تلك الآيات عن كلّ حديث عن أهميّة هذه الوسيلة الأساسية في كل كلام، كيف لا وقد كان لكلّ أداة من أدوات الربط دلالاتها المختلفة، التي تعزّز أو اصر ارتباط الآيات ببعضها من جهة، وتشفي غليل التساؤل عن دواعي استعمالها دون غيرها من جهة أخرى، سواء من ذلك دلالة الاستدراك أم دلالة السببية إلى غير ذلك مما تقدّم استفيض في الحديث فيه.

II. الاتساق المعجمي: وهو النوع الآخر للاتّساق، غير أنه يختلف جذرياً عن الاتّساق التركيبي

الذي تقدّم ذكره وخوض غماره، إذ لا يعدّ الاتّساق المعجمي وسيلة شكلية نحوية تربط بين

عناصر النص؛ كما هو الحال مع سابقه، وقد قسمه الباحثون إلى نوعين:⁴

(1) التكرير: (Répétition)

أولاً: مفهومه: أ/ لغة: هو «عبارة عن الإتيان بشيء مرة بعد أخرى⁵»، فهو يحمل معنى الإعادة.

¹ ينظر: حسام البهنساوي. أنظمة الربط في العربية. دراسة في التراكييب السطحية بين النحاة والنظرية التوليدية التحويلية. مكتبة زهراء الشرق. ط1. القاهرة. 2003. ص: 7.

² حسام البهنساوي. أنظمة الربط في العربية. ص: 16.

³ ينظر. محمد خطابي. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب. ص: 24.

⁴ ينظر: محمد خطابي. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب. ص: 24.

⁵ الشريف الجرجاني. معجم التعريفات. ص: 59.

ب/ اصطلاحاً: عرّف النّصانيّون التّكرار بوصفه مصطلحاً بأنّه «عنصر من عناصر الاتساق المعجمي، وهو يعد حسب "شارول" من الروابط التي تصل بين العلاقات اللسانية؛ فقاعدة التكرار الخطابية تتطلب الاستمرارية في الكلام؛ بحيث يتواصل الحديث عن الشيء نفسه بالمحافظة على الوصف الأول أو بتغيير ذلك الوصف¹» إذ لا يُشترط أن تكون اللفظة مكرّرة بعينها كي تُعدّ تكراراً، إنّما يُجزئ في ذلك إيراد مرادف الكلمة أو ما يقاربها أو معنى عامّ يتضمّنها.

ثانياً: أنواعه: سنقسّم التكرار هنا إلى نوعين لتسهيل الوقوف على مظاهره في السورة؛ بين ما تكرر بلفظه، وما تكرر بمعناه.

1. ما تكرر بلفظه: وهو الأغلب؛ إذ يسهل رصده، وهو الأوجه؛ إذ لا يتمّ العدول عن لفظة بعينها إلّا لغاية في محكم التنزيل، وسنقتصر في هذا الجزء على ما تكرر وروده بصورة ملفتة حتّى صار أو كاد يصير كلمة مفتاحيّة في السورة، أو ما اختصّت هذه السورة بوروده وتكرر ولو مرّتين، ومن نماذج ذلك:

أ- تكرار الفعل "جعل" متصرفاً مع ضمير يعود على الله سبحانه -سواء أكان ضمير المفرد الغائب، أم نون التعظيم-، موزّعا على السورة وخصوصا الجزء الأخير منها بما فيه من تعداد لآلاء الله سبحانه؛ تكرّرت خمسة عشر مرّة؛ وهو عدد يجعلها الكلمة الأكثر تكراراً في السورة، وأثر هذا التّكرار ظاهر في ذكر آلاء الله سبحانه، وتأكيد نسبتها إليه سبحانه لا لغيره. الآيات (10، 20، 22، 35، 37، 45، 47، 53، 54، 61، 62، 74) بما فيها من آيات تكرر فيها الفعل أكثر من مرّة. ولعلّ لهذا التكرار سراً آخر -والله أعلم بمراده- فمن المعلوم أن الفعل "جعل" فعل عامّ يطلق على أفعال مختلفة وهو ما جاء في السورة؛ فلعلّ فيه لفظة بلاغيّة يمكن اعتبارها كردّ على المشركين الذين كانت أفعالهم كلّها على اختلافها مبنية للمجهول "يُلقي"، تكون له جنة، تُملّى،

¹ نعمان بوقرة. المصطلحات الأساسيّة في لسانيات النص. ص: 100.

لولا أنزل إليه، لولا نزل عليه..". حيث إن فعل الجعل استعمل أول ما استعمل في الردّ على شبهاتهم واقتراحاتهم هذه، ثم بعد ذكر إنكارهم وإعراضهم في آخر السورة. كما تكرر الفعل "خلق" -وهو بمعنى قريب منه- خمس مرّات، ولا عجب في ذلك إذ أنّ الحديث عن العجائب الكونيّة ودلائل قدرة الله سبحانه من المقاصد الأساسيّة للسورة.

ب_ فعل التنزيل: يتراوح بين الفعل "أنزل" و"نزل" ما يصل إلى سبع مرّات متكرّرة، معظمه في النّصف الأول من السورة؛ منسوباً للقرآن الكريم، لإثبات صدقه وأنّه من عند الله خلافاً لما جاء في إنكار المشركين له، أو منسوباً للملائكة أيضاً ولماء المطر الذي سبق ذكر تشبيهه بالقرآن في الإحياء، على أنّ من الضروريّ التنبيه إلى نسبة هذا الفعل لله سبحانه وتعالى في جميع مواضعه، أو منسوباً لغير معلوم -مبنيّاً للمجهول- في مقول الكفّار غالباً. وهذا ما يشير إلى المقصد الثاني من مقاصد السورة وهو إثبات صدق كلام الله سبحانه وأنّه هو من أنزله من عنده؛ وبهذا المعنى قد افتتحت السورة ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ 1﴾ فكأنّه قد جيء بالردّ -وهو إقرار بالحقيقة- ثم جيء بالطعن الذي نزلت السورة لتردّ عليه. وتكراره في السورة في مواضع مختلف منسوباً لألفاظ مختلفة إنّما يدلّ على الخيط الرّقيق الرابط بين ألفاظ السورة ومعانيها.

ج_ السبيل: الواقع أنّ لفظة السبيل في القرآن الكريم على توحّد لفظها تتنازعها معانٍ متعدّدة عند أهل التفسير بحسب سياقها الواردة فيه، فهذه اللفظة في القرآن أكثر من معنى تردّ عليه؛ فأحياناً تأتي بمعنى الطاعة، وأخرى بمعنى البلاغ، وأحياناً بمعنى المخرج أو المسلك، وأحياناً بمعنى الدين، وأحياناً بمعنى الهدى¹ وهذا الأخير هو المعنى الذي جاءت عليه كلمة السبيل في السورة على الأرجح، ذلك أنّها وردت في سبعة مواضع مرتبطة بكلمة الضلال ﴿فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ

¹ ينظر: يحيى بن سلام. التصاريح لتفسير القرآن مما اشتهت أسماؤه وتصرفت معانيه. تح: هند شلبي. الشركة التونسية للتوزيع. دط. تونس. 1979م. ص: 222

سَيِّلاً ۙ ﴿٩﴾ ﴿فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلُّنْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ۚ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿يَقُولُ يَلَيَّتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيِّلاً ۚ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿أَوَلَيْكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۚ﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۚ﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۚ﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۚ﴾ ﴿٥٧﴾ فالظاهر -والله أعلم بمراده- أنَّ كلمة السبيل هنا تدلّ على الهدى أو طريق الهدى، ما عدا الآية التاسعة التي قد يكون للكلمة فيها معنى المخرج¹. وتكرار الكلمة مع كلمة الضلال في أغلب المواضع إنّما دلّ على زيادة تأكيد للمعنى في كلّ مرة، وزيادة بيان لاتساق السورة مهما بعدت الآية عن الأخرى.

د- عذاب: آخر كلمة مفتاحية من حيث عدد التكرار هي كلمة العذاب؛ حيث أعيد ذكرها ست مرات غير متتابعة (19، 37، 42، 65، 69)، وفيها من إظهار الوعيد ما فيها؛ كيف لا وتحليل أقوال أهل الضلال والرد عليها ووعيدهم بجزائهم بيّن في السورة كمحور أساسي فيها، ومقصد عظيم من مقاصدها خصوصاً، ومقاصد القرآن عموماً.

كلمات اختصت بها السورة تقريباً: من الكلمات التي قلّ ورودها في القرآن، وتميّزت السورة بورودها فيها، بل وتكرارها نجد:

الكلمة	مواضع تكرارها	الكلمة	مواضع تكرارها
تبارك	الآيات: 1_10_61.	الزور	72_4.
ثبور	14_13.	نشور	47_40_3.
سلاما	75_63.	مستقرّاً	76_66_24.
مقاما	76_66.	/	/

¹ ينظر: يحيى بن سلام. التصارييف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه. ص222.

ملاحظة: فصل الباحثون في وسيلة التكرار، فاصطلحوا ما يسمّى ب: التكرار الجزئي؛ ويقصد به التكرار الذي «ينطوي على استعمال المكونات الأساسية للكلمة مع نقلها إلى فئة كلمات أخرى ومن الأمثلة على ذلك الآية الكريمة ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾¹ فيتبين لنا أنّ المقصود بالحفاظ على المكونات الأساسية اشتقاق كلمات تلتقي مع بعضها في المكوّن ذاته؛ وهو في السورة كثير جاء على شاكلة الفعل ومفعوله المطلق بعده، «وإنّما يذكر المصدر مع فعله لأحد ثلاثة أشياء؛ وهي: تأكيد الفعل وبيان النوع، وعدد المرات² والغرض الأول هو أكثرها، وقد ورد في الآيات الآتية: ﴿فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ۚ ۞ ۞ حِجْرًا مَّحْجُورًا ۚ ۞ ۞ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ۚ ۞ ۞ وَرَزَّلْنَاهُ تَرْزِيلًا ۚ ۞ ۞ فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ۚ ۞ ۞ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَبِيرًا ۚ ۞ ۞﴾ ثم بيان النوع في الآيات: ﴿وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا ۚ ۞ ۞ أَمْطَرْتُ مَطَرًا سَوِيًّا ۚ ۞ ۞ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ۚ ۞ ۞ وَجَهَدْنَاهُمْ بِهٖ جِهَادًا كَبِيرًا ۚ ۞ ۞﴾

وإنّه مما يخطف اللب ويوقد قريحة التدبّر هو وجود هذه الكلمات متكرّرة في مواضع أبعد ما تكون عن بعضها؛ فهو إن دلّ إنّما يدلّ على التلاحم الرهيب للسورة فيما بين آياتها، وإن حاولنا رصده بشتّى الطرق إلّا أنّه يظلّ أمتن مما نتصوّر، فلحكمة عظيمة أتى الله سبحانه بهذه الألفاظ متكرّرة في هذه السورة بالذات، بما يخدم مقاصدها.

2. ما تكرر بمعناه: وهو أقل ورودا وظهورا من النّوع الأول، نقتصر فيه على:

¹ روبرت ديبيجراند وآخرون. مدخل إلى علم لغة النص. ص: 85.

² أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي. اللمع في العربية. تح: فائز فارس. دار الكتب الثقافية. دط. الكويت. دت. ص: 48.

أ- ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ۖ ۝١﴾ ﴿إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ۖ ۝٣٠﴾ والفرقان

هو «القرآن وهو في الأصل فرق؛ وجعل علما بالغلبة على القرآن لأنه فرق بين الحق والباطل¹».

ب- ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۖ ۝١﴾ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ۖ ۝٣٧﴾ فبين كلمة العالمين والناس من

التقارب في المعنى ما يجعل إحداها تقوم مقام الأخرى، وإن كانت لفظة "العالمين" أعم؛ "فالمقصود بها الجن والإنس²".

ج- ﴿أَرْسَلْنَا﴾ ﴿بَعَثْنَا﴾ فالبعث والإرسال بمعنى واحد في الظاهر.

د- ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ۖ ۝٢٦﴾ ﴿لَا بُشْرَىٰ لِلْمُجْرِمِينَ ۖ ۝٢٢﴾ ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ

عَذَابًا أَلِيمًا ۖ ۝٣٧﴾ إذ المراد بالكافرين المجرمون والظالمون، وإنما هي أوصاف ومسميات تعددت واتفق مدلولها، والتبديل بينها في النص القرآن راجع ولا بد إلى حكمة ربانية.

ثالثا: أهمية التكرار:

كغيرها من وسائل الاتساق النحوية، تكتسي وسائل الاتساق المعجمية أهمية بالغة وتسهم إلى حد بعيد في تحقيق نصية النص، ولا ريب في أن من بين أغراضه: «تقرير وجهه نظر معينه وتوكيدها³» كما يستعمل بغرض «توليد الحجة والإيضاح⁴» ويذهب به رولان بارت بعيدا حين يرى أن التكرار يولد المتعة، كما لو أن هذه الكلمة تعود كل مرة بمعجزة⁵. وليست هذه الأخيرة بأقل من متعة رؤية الخطوط الرفيعة التي تربط بين مواضيع وأجزاء النص، فمتى استطعنا الوقوف على الكلمات المفتاحية في سورة ما سهل علينا تدبرها، ومحاولة الوقوف على تعليل

¹ ابن عاشور. التحرير والتنوير ج18. ص: 317.

² ينظر: أبو عبد الله الحميدي. تفسير غريب ما في الصحيحين. تح: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز. مكتبة السنة. ط1. القاهرة. مصر. 1995م. ص: 451.

³ مدخل إلى علم لغة النص. ص: 82.

⁴ نعمان بوقرة. المصطلحات الأساسية في لسانيات النص. ص: 100.

⁵ ينظر: رولان بارت. لذة النص. تر: منذر العياشي. دار لوسوي. ط1. باريس. 1992م. ص: 77، 79.

تكريرها هي دون غيرها، وعلاقتها بغرض السورة، تماما كما وقفنا على كلمتي "سبيل" وفعل "التنزيل".

(2) التضامّ: (Collocation)

أ/ مفهومه: هو «تطّلب إحدى الكلمتين للأخرى في الاستعمال على صورة تجعل إحداها تستدعي الأخرى¹» وغير بعيد عن هذا يعرفه محمّد خطّابي: «هو توارّد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوّة نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك»²، فيتبين من خلال ما سبق في هذين التعريفين أنّ التّضامّ وسيلة لغويّة قائمة على استلزام لفظة لأخرى إمّا على سبيل التعارض الكائن بينهما، أو التّناسق الجاري في الاستعمال، ومن أمثله في السورة -وهو موجود بعدد معتبر نظرا لحجم السورة-:

1- ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ رغم أنّ الكلمتين اختلفتا من حيث الجمع والإفراد؛ إلّا أنّ تواردهما مع بعضهما واستلزامهما لبعضهما ممّا كثر جريانه على الألسنة عامّة، وفي القرآن الكريم خاصّة، فقلّ أنّ نجد إحدى اللفظتين منفصلة عن الأخرى، ذلك أنّهما تردان عادة في سياق إثبات الخلق، ودلائل قدرة الله سبحانه.

2- ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا 3﴾ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ 55﴾ تكرر التضامّ بالكلمتين فجاء مرة اسما ومرة فعلا، والعلاقة بينهما واضحة يحكمها التّعارض.

3- ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا 3﴾ الموت والحياة تضامّ قائم هو الآخر على نفس العلاقة النسقيّة (التعارض).

¹ تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. عالم الكتب. ط5. 2006. ص: 94.

² محمد خطّابي. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب. ص: 25.

4- ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا 5﴾ ﴿جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً 62﴾ كلمتا بكرة وأصيلا من جهة، وكلمتا الليل

والنهار من جهة أخرى ألفاظ زمنية بالدرجة الأولى، يمكننا القول في العلاقة بينهما أنها تنتمي إلى التعارض الزماني؛ فالبكرة تقابلها العشيّة، والليل يقابله النهار، ولا مجال لالتقاءهما.

5- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا 56﴾ التضامّ هنا وارد في معنى "البشارة والإنذار"، بيد أنّ

العلاقة النسقيّة بينهما تبدو بعيدة نوعا ما عن منطق التعارض؛ إذ إنّ التعارض قائم أساسا على فكرة التّضادّ، ولا يمكن للمتضادّين أن يكتملا بعضهما كما تكامل معنى البشارة والإنذار وخدم كلّ منهما الآخر، وأمّكن اجتماعهما؛ على العكس من الليل والنهار والموت والحياة فلا يمكن أن يلتقيا في زمان واحد في ذات واحدة؛ وبذلك فإنّ العلاقة بين الوجدتين اللغويّتين "مبشرا ونذيرا" تبدو أقرب ما تكون لعلاقة التقابل إذ يجوز الجمع بينهما، فالنبي صلى الله عليه وسلّم بُعث مبشرا بالخير وما يتبعه من ثواب، ومنذرا من الشرّ وما يلحقه من عقاب.

6- ﴿كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا 6﴾ ﴿سُجَّدًا وَقِيمًا 64﴾ ﴿أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّاتًا 74﴾ لعلّه من الواضح جليّا ألا

تعارض بين هذه المفردات الواردة مع بعضها، غير أنّنا كثيرا ما نجد إحداها تستلزم الأخرى سواء في اللغة القرآنيّة أم اللغة العادية؛ وهنا تكمن صعوبة التّضامّ؛ حيث إنّ «إرجاع هذه الأزواج إلى علاقة واضحة تحكمها ليس دائما أمرا هيّنا، هذا إذا كان ممكنا، لكن القارئ يتجاوز هذه الصعوبة بخلق سياق تترابط فيه العناصر المعجميّة معتمدا على حدسه اللغويّ، وعلى معرفته بمعاني الكلمات وغير ذلك، وهذا يعني أنّنا لا نتوافر على مقياس آلي صارم يجعلنا نعتبر هذه الكلمة أقرب إلى هذه المجموعة من تلك¹». فالغفران والرحمة، والسجود والقيام، والأزواج والذرية مفردات تتوارد كثيرا مع بعضها، غير أنّ العلاقة بينها أقرب ما تكون إلى اقتضاء إحداها للأخرى، فالرحمة

¹ محمد خطابي. لسانيات النص. مدخل إلى انسجام الخطاب. ص: 25.

تستلزم المغفرة، والقيام يقتضي السجود، والذرية تستلزم وجود زوجين، فهي أقرب ما تكون إلى علاقة سببية.

ب/ أهمية التّضام:

لعلّ أبرز ما يميّز هذه الوسيلة عن سابقتها هو اشتغالها في الحيز القريب منها فقط، بحيث تحقّق الاتّساق على مستوى الجملة الواحدة من خلال التلازم بين الكلمتين؛ فلا تتعدّى ذلك إلى ما بعدها، وذلك لأنّها «تشكيلات من الروابط الكائنة بين أزواج من العناصر... والمسألة هنا هي معرفة كيفيّة خلق هذه الروابط والترتيب الذي تنتظم فيه¹»

نتائج الفصل الأوّل:

الخلاف القائم بين الدّارسين حول مفهوم النص والخطاب لا يمنع من اعتبار القرآن الكريم نصّا وخطاباً في الآن ذاته.

¹ روبرت ديوجراند وآخرون. مدخل إلى علم اللغة النص. ص: 73.

_معيار الاتساق يشغل على ظاهر النص وجانبه الشكلي بمستوياته النحوي والمعجمي؛ وتعدّ الإحالة أكثر أدوات الاتساق بروزاً في السورة.

_الإحالة بالضمير في السورة تنقسم إلى أربعة أقسام: ضمير المفرد الغائب، وعائده إما على الله سبحانه أو القرآن أو الكافر. وضمير المفرد المخاطب وهو النبي صلى الله عليه وسلم، وضمير جماعة المتكلمين (نون العظمة) على الله سبحانه، ضمير جماعة الغائبين ويعود إمّا على المشركين أو عباد الرحمن.

_الإحالة بالاسم الموصول: إمّا على الله سبحانه، أو عباده المؤمنين في آخر السورة، أو ما يحيل على الكفار.

_الإحالة باسم الإشارة على القرآن أو الرسول بهذا، وكذلك تدل على جملة سابقة أولئك: عباد الرحمن. الإحالة باسم الإشارة قليلة مقارنة بما سبق.

_ ورود أدوات الحذف والاستبدال والربط بصورة متكررة، حيث تجلّت كلّ أنواعهما في السورة، وهو ما زاد النص تماسكاً واتساقاً.

_ فعل الجعل والتنزيل هما أكثر فعلين تكررا في السورة منسوبين لله سبحانه بما يتناسب مع الرد على المشركين.

_الحضور القوي لأداة التضام نظراً لحجم السورة، حيث وردت هذه الأداة فيها بصورة مكثفة، دليلاً آخر على اتساق النص.

الفصلُ الثاني

مظاهر الانسجام في سورة الفرقان

1_ تعريف الانسجام

2_ الفرق بين الاتساق والانسجام

3_ مبادئ الانسجام

بعد انتهاء جولتنا في رحاب ظاهرة الاتساق، نشدّ الرّحال نحو دراسة ظاهرة الانسجام؛ إذ يعدّ الانسجام الطّرف الآخر في ثنائيّة المعايير النّصيّة الأشدّ وثاقة بالنّص إلى جانب الاتساق، ولا عجب فيما «يحتله الانسجام من موقع مركزي في لسانيات النص، إذ تربطه علاقات وثيقة بموضوعات أخرى، لا تقل عنه أهميّة؛ كاتساق النص وسياق النص¹». وإذا كان الاتساق موقوفاً على الجانب الشّكليّ، فإن الجانب الدّلاليّ موكول إلى معيار الانسجام.

وقد استفاض محمّد خطّابي في الحديث عن هذا المعيار في كتابه: لسانيات النص - مدخل إلى انسجام الخطاب-، حتّى أنّه كرّس فصله السابع لرصد مظاهر انسجام النّص القرآني استناداً على علوم القرآن والتفسير؛ بغرض الوصول إلى معرفة «كيفية تماسك النّص القرآنيّ، معتبراً ذلك ضرورة لأنّ القرآن بؤرة الاهتمام التي انشدت إليها قبل أي شيء آخر أنظار علماء الإسلام وأفهامهم، على أنّ ما يهمّنا بالذات هو استخراج بعض الوسائل والعلاقات والآليات التي تقطن المفسرون إلى مساهمتها في جعل النص القرآني آيات وسورا كلا واحداً موحداً، رغم اختلاف أوقات نزوله وأسبابه²» وقبل أن يتمّ تقصّي مظهر الانسجام في سورة الفرقان ينبغي أولاً تعريف الانسجام وعرض المبادئ والأسس التي يقوم عليها.

1/ تعريف الانسجام: (Cohérence)

أ/ لغة: اشتقت مفردة "الانسجام" من الفعل "سجم"؛ ومعناه في المعاجم القديمة ينحصر في معنى الانسكاب: «سجمت العين تسجم سجوماً، وهو قطران الدمع وسيله، قلّ أو كثر وكذلك الساجم من المطر، ويقال انسجم الدمع والماء فهو منسجم إذا انصب³» أمّا في المعاجم المعاصرة

¹ خالد حميد صبري. اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة. بحث في الأطر المنهجية والنظرية. دار ومكتبة عدنان. ط1. بغداد. 2015م. ص: 107.

² محمد خطابي. لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب. ص: 165.

³ الأزهري. تهذيب اللغة. ج 10 ص: 317.

-وهو الأقرب إلى استعمالنا العلمي لهذا المصطلح، فقد عرّفه أحمد مختار عمر تعريفا خاصا نوعا ما؛ حيث يقول: «انسجم ينسجم انسجاما فهو منسجم، انسجم الكلام: انتظم ألفاظا وعبارات من غير تعقيد، كان سلسا أنيقا، متوافقا في الأفكار والشعور والميول، انسجم الأمر مع غيره: اتفق معه ولم يتعارض»¹ غير أنّ السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: ما علاقة التعريفين ببعضهما؟ أم هو محض تطوّر دلاليّ مسّ الكلمة فتغيّر معناها هذا التغيّر الجليّ من الانصباب إلى التوافق؟

يجيب أحمد مختار عمر في موضع آخر عن هذا التساؤل؛ حيث يعلّق على ترابط معنى انسجام الدمع وانسجام الكلام تعليقا شافيا، حيث يرى أنّه «من اليسير أن نملح صلة بين المعنى المعجمي والمعنى الشائع، لأنّ انسجام الدمع معناه سيلانه بتوالي قطراته على صفحات الخدّ على وتيرة واحدة في انتظام وتناسب»². وهكذا يتّضح لنا الأصل اللغويّ لمعنى الانسجام وعلاقته بالمعنى الشائع الآن.

ب/ اصطلاحا: في الجانب الاصطلاحيّ نجد كلمة الانسجام تترادف مع مفردتي: الحبك والالتحام؛ كثيرا ما تتوارد هذه المفردات مع بعضها؛ فالانسجام «لا يتعلق بمستوى التحقق اللساني، ولكنه يتعلق بالأحرى بتصور المتصورات التي تنظم العالم النصي، كما يضمن الانسجام التتابع والاندماج التدريجي للمعاني حول "موضوع الكلام"»³ إذ يمكننا أن نقول بأنّ الانسجام عملية داخلية تشتغل على الجانب المفاهيمي الدلالي، دون الوقوف على سطح النص وبنيته الشكلية؛ ضامنا بذلك التحام النص موضوعيا ودلاليا.

أمّا روبرت ديبوغراند فيرى أنّ الالتحام: «يتطلب من الإجراءات ما تنتشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي واسترجاعه، وتشتمل وسائل الالتحام على العناصر المنطقية

¹ أحمد مختار عمر. معجم اللغة العربية المعاصرة. عالم الكتب. ط1. 2008م. ج2. ص: 1037.

² أحمد مختار عمر. معجم الصواب اللغوي. عالم الكتب. ط1. القاهرة. 2008. ج1. ص: 163.

³ منذر العياشي. العلاماتية وعلم النص. المركز الثقافي العربي. ط1. المغرب. 2004. ص: 133.

كالسببية والعموم والخصوص، معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف، السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية، ويتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة بالعالم¹ فالانسجام ليس أمراً موجوداً مسبقاً يتحكم فيه منتج النص فقط، بل هو أيضاً عملية تبني من طرف المتلقي وفقاً لخلفياته السابقة.

2/ الفرق بين الاتساق والانسجام: اتضح لنا من خلال عرض تعريف الانسجام (الالتحام/

الحبك) أنّ المفارقة الواضحة بينه وبين الاتساق (التماسك/ السبك) تسير وفق المجال الذي يشتغل عليه كلّ منهما فبينما يتوقف رصد مظاهر الاتساق على المتحقق فعلاً في الجانب الشكلي، يتطلب بناء الانسجام من المتلقي صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولّده، فالانسجام أعمّ من الاتساق كما أنه أعمق منه²

غير أنّ هنالك نظرة أبعد في هذه المقارنة؛ حيث «إنّ مشكلة الحدود بين التماسك النصي والانسجام النصي مشكلة معقدة؛ وهكذا فإننا إذا تتبعنا الفرضية التي تقول إن معنى الكلمات في معظمه تحدده طرق الاستمرار الاستدلالي التي تجعله ممكناً، وذلك لأنه من المحتمل أن عدداً معيناً من الوقائع النصية التي نعدّها عموماً جزءاً من الانسجام، تستطيع أن تفسر بمصطلحات التماسك، أي مصطلحات لسانية محضة³». فالعلاقة بين الاتساق والانسجام على العموم علاقة تداخل وتكامل «تتجلى في كونهما يبحثان في قضايا الترابط والتعلق بين أجزاء النص ومضامينه، فمحلل النص الذي يبحث عن مظاهر انسجامه لابد له من أن يكون واعياً بمظاهر الاتساق

¹ روبرت ديوجراند. النص والخطاب والإجراء. تر: تمام حسان. عالم الكتب. ط1. القاهرة. 1998. ص: 103.

² ينظر: محمد خطابي. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب. ص: 5. 6.

³ منذر العياشي. العلاماتية وعلم النص. ص: 134.

ووسائله اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من النص أو نص برمته، ولكنّ الانسجام أعمق من الاتساق¹»

3/ مبادئ الانسجام: توجد عدّة مبادئ أساسيّة يُستند عليها لرصد وبناء انسجام نصّ ما، أبرزها:

أولاً: مبدأ السياق (context):

أ/ مفهومه: لغة: هو «الظروف يقع فيها الحدث أو يساق فيها الكلام²» وقد جاء في التراث اللغوي العربيّ بهذا المفهوم بلفظ آخر هو "مقتضى الحال".

ب/ اصطلاحاً: يرى "فان دايك" أنّ السياق هو عبارة عن وصف مختصر لموقف معيّن، يتضمّن فقط الأحداث التي تساعد على فهم العبارات المرتبطة به، وقد يشمل هذا السياق أفعال كلام المشاركين وتكوينهم الداخليّ من معرفة ومعتقدات ومقاصد³.

ج/ السياق في سورة الفرقان: ينقسم السياق إلى نوعين: سياق لغوي؛ وهو ما يسبق الكلمة وما يليها من كلمات، وسيق غير لغوي أي الظروف الخارجية التي يرد فيها الكلام، وسنتطرق في البداية إلى السياق غير اللغوي.

1. السياق غير اللغوي: ومعناه السياق المصاحب لنزول السورة، وكذا ترتيبها في المصحف الشريف وعلاقتها بما سبقها وما لحقها، وكذا ما احتاج من آياتها في فهم معناه إلى تجاوز الجانب اللغويّ والرجوع إلى خارج النصّ.

أ-أسباب وظروف النّزول: سورة الفرقان سورة مكية، نزلت في السنة العاشرة من البعثة، من السور التي نزلت بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء. وهي فترة تميزت بقسوة مشركي مكة وعنفهم ورغبتهم في القضاء على الدعوة بكل سبيل، ولذلك تبدو سورة الفرقان وكأنها إيناس لرسول الله صلّى الله

¹خالد حميد صبري. اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة. ص: 107.

²أحمد مختار عمر. معجم اللغة العربية المعاصرة ج2. ص: 1139.

³ينظر: فان دايك. النص والسياق. تر: عبد القادر قنيني. أفريقيا الشرق. دط. المغرب. 2000م. ص: 257.

عليه وسلّم، وتسرية له وتطمين وهو يواجه مشركي قريش، وعنادهم وتعتّهم معه، وجدالهم بالباطل وصدّهم عن الهدى، وتطاولهم على من اختاره الله سبحانه، ليحمل رسالة الله إلى الناس وتعزّيه عن استهزائهم¹. وسيأتي ذكر أسباب نزول بعض الآيات وسياقاتها في الموضع الخاصّ بها.

ب_ترتيبها في المصحف وعلاقتها بما تتلوّه وما يتلوّها:

مناسبتها لما قبلها: تظهر مناسبة سورة الفرقان لسورة النور في عدّة أوجه يمكن إيجازها فيما يلي²:

- (1) أن سورة النور ختمت بأن الله تعالى مالك جميع ما في السماوات والأرض، وبدأت سورة الفرقان بتعظيم الله الذي له ملك السماوات والأرض.
- (2) تضمنت سورة النور القول في الإلهيات، وأبانت ثلاثة أنواع من دلائل التوحيد: أحوال السماء والأرض، والآثار العلوية من إنزال المطر وكيفية تكون الثلج والبرد، وأحوال الحيوانات، وذكر كذلك في الفرقان جملة من المخلوقات الدالة على توحيد الله.
- (3) في كلتا السورتين وصف أعمال الكافرين والمنافقين يوم القيامة وأنها تكون مهذرة باطلة، فقال في النور: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ} [٣٩] وقال في الفرقان: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ، فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [٢٣].

مناسبتها لما بعدها: تتضح مناسبة سورة الفرقان لسورة الشعراء في الموضوع والبدائية والنهاية³:

¹ ينظر: جعفر شريف الدّين. الموسوعة القرآنية خصائص السور. تح: عبد العزيز بن عثمان التويجزي. دار التقريب بين المذاهب الإسلاميّة. ط1. بيروت. 1420هـ. ج 6. ص: 105، 107.

² ينظر: وهبة الزحيلي. التفسير المنير ج19. ص: 5، 6.

³ ينظر: المرجع نفسه. ص: 118، 119.

(1) الموضوع: في سورة الفرقان إجمال لما فُصِّل في الشعراء؛ من قصص الأنبياء بحسب ترتيبها

المذكور، فبدأ بقصة موسى، وهذا سر لطيف يجمع بين السورتين. وكان في الفرقان إشارة إلى

قرون بين ذلك كثيرة، ففصلت هنا قصة إبراهيم، وقوم شعيب، وقوم لوط.

(2) البداية: بدئت كلتا السورتين بتمجيد القرآن العظيم: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ.1} و {تِلْكَ آيَاتُ

الْكِتَابِ الْمُبِينِ1}.

(3) النهاية: خاتمة السورتين متشابهة، فقد ختمت الفرقان بوعيد المكذبين، ووصف المؤمنين "عباد

الرحمن"، وختمت الشعراء بتهديد الظالمين المكذبين، والرضا عن الشعراء المؤمنين الذين

يعملون الصالحات، ويذكرون الله كثيرا، وينتصرون ممن ظلمهم.

ج- الآيات التي يُحتاج في فهم معناها إلى السياق الخارجي غير اللغوي:

1- ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ

فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا2﴾ الآية تنزيه لله سبحانه وتعالى عن اتخاذ الولد ردًا على زعم النصارى، كما تنزهه

سبحانه عن اتخاذ شريك في الملك ردًا على الثنوية، وعلى عبدة النجوم والكواكب من الصابئة،

وعلى عبدة الأوثان من مشركي العرب¹. فالسياق الخارجي هو الذي وضّح أنّ الآية ردّ على مزعوم

مسبق.

2- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخِرُونَ3﴾ ذكر في أسباب نزول

هذه الآية ما قال الكلبي ومقاتل أنها: «نزلت في النضر بن الحارث، فهو الذي قال هذا القول.

وعنى بقوله تعالى: ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخِرُونَ4﴾ عدّاس مولى حويطب بن عبد العزّى، ويسار

غلام عامر بن الحضرمي، وجبر مولى عامر أو أبو فكيهة الرومي، وكان هؤلاء الثلاثة من أهل

¹ ينظر: وهبة الزحيلي. التفسير المنير ج19. ص: 11/8.

الكتاب، وكانوا يقرءون التوراة ويحدثون أحاديث منها، فلما أسلموا، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعهدهم، قال النضر ما قال. فرد الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله: ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾¹ فقد كانت الشبهة التي يقذف بها النبي صلى الله عليه وسلم معلومة المصدر وإن كان القرآن قد عبر عنها إجمالاً بضمير الغيبة، إلا أن ظروف النزول تكشفها، ما يزيد من الفهم للنص القرآني.

3- ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا 5﴾ الشبهة الثانية التي وجهها المشركون للقرآن هي تصنيفه ضمن أساطير الأولين؛ وهو معنى متداول في القرآن، غير أن الاقتصار على السياق اللغوي يثير أسئلة جمّة أبرزها: ما المقصود بأساطير الأولين؟ ومن هم الأولون؟ السياق هو ما يجيبنا عن هذا؛ فالمقصود بأساطير الأولين: «أكاذيب المتقدمين، وأحاديث السابقين الذين سطروها في كتبهم كأحاديث رستم واسفنديار، رمى المشركون النبي صلى الله عليه وسلم بانتساخها بوساطة أهل الكتاب يعني عامراً ويساراً، وجبراً أو أباً فكيفة مولى ابن الحضرمي، فهي تقرأ عليه صباح مساء، أي دائماً، وخفية ليحفظها، إذ هو أُمِّي لا يقرأ ولا يكتب»².

4- ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ 7﴾ الظاهر في نظم الآية أن الصيغة استفهامية، غير أن الرجوع إلى مقام الحال، ومعرفة القائل من المقصود، وطبيعة العلاقة بينهما يوضح أن هذا الاستفهام إنما جيء به لغرض مجازي؛ هو التعجب، ووجه خروج الاستفهام إلى التعجب هو اعتقاد مفاهيم سابقة عن الرسل وتنزيههم عن أكل الطعام والمشى في الأسواق، وهو ما ردعه القرآن إذ ذكر حال المرسلين: (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ (20) فمن أين أتوا بالأساس الذي أقاموا عليه شرطهم في النبوة؟

¹ ينظر: وهبة الزحيلي. التفسير المنير ج19. ص: 15.

² المرجع نفسه. ص: 16.

5- ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا

10﴾ يرجع سبب نزول هذه الآية إلى سياق شهير عند أهل التفسير؛ فقد جاء في السيرة النبوية أن

زعماء قريش قاموا بعروض الإغراء بالمال والغنى، والسيادة والجاه، والملك والسلطان للنبي صلى

الله عليه وسلم بغرض صدّه عن الدّعوة.¹

6- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً 32﴾ الشّاهد في الآية وما يحتاج إلى

سياق غير لغويّ لزيادة الفهم هو اقتراحهم ﴿جُمْلَةً وَاحِدَةً 32﴾ من أين أتوا به؟ وعلى أيّ أساس

بنوه؟ فإذا كانت الشبه الأولى الموجهة للقرآن وللنبي صلى الله عليه وسلم قد بنيت على اعتقاد

واهم، فإنّ هذا الاقتراح والتّعنّت بُني على قياس؛ «أي: هلاً أنزل الله عليك الكتاب دفعة واحدة غير

منجم، كما أنزلت التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، والزبور على داود عليهم السلام²».

وقد ردّ الله بعدها مباشرة شبهتهم وفند قياسهم، فمناط الإعجاز ليس في نزول الكتاب جملة واحدة.

7- (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا 35) فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا

بآيَاتِنَا 36) لعلم المخاطب بالسياق جيء بكلمتي الكتاب والقوم معرفين بالآلف واللام تعريف

عهد، وهو سياق تاريخي محض؛ إذ المقصود بالكتاب "التوراة"، والقوم: "قوم فرعون".

8- ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ آلِ رَيْسَ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا 38﴾ أمّا في هذه الآية فيحضر السياق

التّاريخي، والجغرافي كلاهما؛ إذ «كلّهم من بلاد العرب، يستطيعون مشاهدة إثارهم، وقد شهدوا

كثير منهم في أسفارهم³»، كما أنّ العرب كانوا «يمرون على ديار ثمود في رحلتهم إلى الشام

¹ ينظر: وهبة الزحيلي. التفسير المنير ج19. ص: 20.

² صديق حسن خان. فتح البيان في مقاصد القرآن. المكتبة العصرية للطباعة والنشر. دط. صيدا. بيروت.

1992م. ج9. ص: 305.

³ ابن عاشور. التحرير والتنوير ج4. ص: 97.

ويحطون الرّحال هنالك، ويمرون على ديار عاد في رحلتهم إلى اليمين¹» وقد اختلف المفسرون في المنطقة التي أهلك فيها أصحاب الرّس.

9- ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْتُ مَطَرًا سَوِيًّا ۚ﴾ انتق أهل التفسير على أنّ القرية المقصودة في الآية هي قرية "سدوم"؛ وهي أعظم قرى قوم لوط عليه السلام، وكانت خمسا أهلك الله أربعاً مع أهلها وبقيت واحدة، أي أنّ قريشا مروا في متاجرهم إلى الشام على تلك القرية فأروها رأي العين، ولذلك جيء بحرف التحقيق قلبها: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ 40﴾ لإثبات وقوع الفعل وتحققه، ومن ثمة جاء الاستفهام بعدها "أفلم يكونوا يرونها؟" استفهاماً إنكارياً، تقديره: أما شاهدوا ذلك بأبصارهم عند سفرهم للشام فيتفكروا فيؤمنوا؟² ولعلّ هذه الآيات من أكثر المواضع التي تظهر أهميّة السياق في كشف الدلالات الخفية وزيادة فهم المتلقّي للنص.

10- ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ 53﴾ وهذه الآية تحتاج سياقاً جغرافياً؛ اختلف في المقصود بالبحرين فقيل: بحر في السماء وبحر في الأرض، وقيل: بحر فارس وبحر الروم³، و«قيل إنّما أراد به الأنهار العظام، يعني أرسل في الأرض المياه على ضربين: أحدهما عذب والآخر ملح، وكلّ واحد منهما بحر، فالفرات العذب كالنيل والفرات ودجلة وسيحان ونحوها، والملح الأجاج كالبهار المعروفة⁴» فيصير المعنى على الرأى الأخير لا يعدو كونه من باب التغليب، إذ غلبت تسمية البحر على النهر، والله أعلم.

¹ ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج13. ص: 249.

² ينظر: أبو البركات النسفي. مدارك التنزيل وحقائق التأويل ج2. ص: 538.

³ ينظر: ابن جرير الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج22. ص: 200.

⁴ أبو حفص النسفي. التيسير في التفسير. تحقيق: ماهر أديب حبوش وآخرون. دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث. ط1. إسطنبول، تركيا. 2019م. ج11. ص: 227.

2/ السياق اللغوي: إنّ تقديم الحديث عن السياق غير اللغوي على حساب السياق اللغوي ليس ترتيباً أهمّيّة، بل ترتيب أولويّة؛ إذ يحسن بالمتلقي الاطلاع على ظروف الحديث وسياقاته الخارجيّة، ومن ثمة الإقبال على النصّ، وسيحتاج بعد ذلك حتماً إلى سياق لغويّ داخليّ يوضّح له ما أشكل عليه داخل النصّ، لذا وجب «التأكيد على قوة السياق النصي كعامل يحدّد ويحدّ من فهمنا، حتى لو لم تتوافر لدينا معلومات عن مكان القول الأصليّ وزمانه، وحتى في صورة غياب معلومات عن المتكلم/ الكاتب والمستقبل الذي يقصد توجيه الكلام إليه، فمن الممكن في الغالب إعادة بناء جزء من السياق المادي على الأقلّ لكي نصل إلى فهم النص بطريقة أو بأخرى، وكلما توافر السياق النصيّ ضمناً بصفة عامّة فهم النصّ، فالنص يخلق سياقه الخاص به¹»

وسنعرض بإذن الله ما أمكن من الآيات التي تحتاج إلى سياق لغويّ لتحديد المعنى وتوضيحه:

أ- ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا 11﴾ مرتبط الفرس في لفظة "الساعة" التي قيل عنها: «معنى الساعة في كل القرآن: الوقت الذي تقوم فيه القيامة، كأنه يريد أنها ساعة عظيمة خفية يحدث فيها أمر عظيم، فقللة الوقت الذي تقوم فيه سمّاه ساعة، والله أعلم، فأما ساعة الزمان فلأنها تجري وتذهب، من قولهم: ساع وانساع إذا جرى²»، إذ حدث هنا ما يمكننا تسميته بالتغير الدلاليّ؛ فكلمة الساعة التي تدلّ في الأصل على زمن وجيز يمضي، وردت في نصوص الوحيين بدلالة أخرى؛ وهي يوم القيامة للتعليل السالف الذكر.

ب- ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ 15﴾ الأصل أنّ الإحالة باسم الإشارة "ذلك" يعود على عذاب النّار؛ فهذا التعقيب عبارة عن مقارنة بين عذاب النّار ونعيم الجنّة، ما يوحي بأنّ

¹ جيليان براون وجورج يول. تحليل الخطاب. تر: محمد لطفي الزليطي، منير التريكي. جامعة الملك سعود. دط. الرياض. 1997م. ص: 60، 61.

² أبو موسى المديني. المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث. تح: عبد الكريم العزباوي. جامعة أم القرى. مكّة المكرمة. ط1. 1988م. ج2. ص: 150

الاستفهام هنا ليس على حقيقته، بل يحيله السياق إلى غرض مجازي هو: توبيخ الكفار والتّهم بهم¹.

ج- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَيِّكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۚ﴾ الآية لأوّل وهلة في إطارها المحدود يطرح تساؤلاً بديهيّاً: كيف يطلب رؤية الله من لا يرجو لقاءه؟ غير أنّ هذا الإشكال ينجلي إذا ما علمنا أنّ الكفار باقتراحاتهم إنّما يريدون للتّحدّي، فليس المقصد الشوق لرؤية الله سبحانه، إنّما سيق مساق التّحدّي والتّعجيز ضمن تعنّتهم.

د- ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [٥٣]. تظهر الآية تعبيراً عن مشهد من مشاهد يوم القيامة بصيغة الماضي؛ وهو أسلوب قرآني كثير الورد، وتتجلّى فائدة الإخبار بالفعل الماضي عن المستقبل في كون ذلك «أبلغ وأؤكد في تحقيق الفعل وإيجاده، لأنّ الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان ووجد²»

هـ- ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيِّتَنِي أَتُخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۚ﴾ معنى "عضّ اليدين" يتجاوز الجانب الحقيقيّ إلى معنى مقتضٍ له؛ فهو «كناية عن الغيظ والحسرة، فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة، ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة ما لا يجده عند لفظ المكنّى عنه³» ولعلّ من بلاغته أيضاً تجسيد المعنويّ "التحسّر والندم" في صورة محسوسة "عضّ اليدين".

و- ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا ۖ﴾ لفظة الماء هنا ليست على حقيقتها الشّهيرة؛ إنّما المقصود بها: النطفة، وإن كان هنالك رأي آخر مرجوح؛ ردّ اللفظ إلى علاقة سبب ونتيجة؛ فالله خلق آدم من

¹ ينظر: النسفي. مدارك التنزيل ج2. ص: 528.

² عبد العزيز عتيق. علم البديع. دار النهضة. دط. بيروت. لبنان. دت. ص: 154.

³ النسفي. مدارك التنزيل وحقائق التأويل ج 2. ص: 534.

طين، والطينُ كان من الماء¹. والسياق المرجح للرأي الأول هو بقية الآية: {فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا} {54} أي تقسيم البشر إلى «قسمين: ذوي نسب؛ أي ذكوراً ينسب إليهم، وذوات صهر؛ أي إناثاً يصاهر بهن؛ حيث خلق من النطفة الواحدة بشراً نوعين ذكراً وأنثى وقيل فجعله نسباً أي قرابة وصهراً مصاهرة يعني الوصلة بالنكاح²»

ز- ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا 61﴾ الأصل في العربية أنَّ السراج معناه المصباحُ الزاهرُ الذي يُسْرَجُ بالليل، والجَمْعُ سُرُجٌ. والمِسرَجَةُ: التي فيها القَتِيلُ. ولعلَّه من باب القياس على الوظيفة -وهي "الإنارة"- سميت الشمس عند العرب بـ: سراج النهار³.

ح- ﴿وَالَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا 73﴾. الأصمُّ هو الذي لا يسمع، والأعمى هو الذين لا يرى؛ وهو أمر مفروغ منه في المعاجم والاستعمال العادي، غير أنَّ السمع والبصر إذ تعطلت الغاية منهما وهي الفهم عن الله وسماع آياته والتأمل فيها وتدبرها، كان كعدم هاتين النعمتين، فنفي الصمم والعمى عن عباد الرحمن ليس نفياً على حقيقته بدلالة السياق اللغوي الذي وردت فيه، وكذلك كلَّ صمم أو بكم أو عمى جاء في القرآن فإنَّ المقصود به: «صم عن الحق؛ فلا يسمعون، بكم عنه؛ فلا ينطقون به، عمى عنه؛ فلا يبصرونه⁴». والله أعلم.

ط- ﴿أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا 6﴾ تطرح الآية تساؤلين ضمنيين: أولهما: لماذا وصف الله سبحانه نفسه بعلمه السر في هذا سياق إنزال القرآن دون ذلك من الصفات؟ وثانيهما: ما علاقة فاصلة الآية بفحواها؛ أي لم ذكر صفتي المغفرة والرحمة دون غيرهما من الصفات؟

¹ ينظر: موسوعة التفسير المأثور ج16. ص: 133

² المرجع السابق. الصفحة نفسها.

³ ينظر: ابن منظور. لسان العرب ج2. ص: 297.

⁴ ابن ابي زمنين. تفسير القرآن العزيز ج1. ص: 194.

أما السؤال الأول فيرى الزمخشري أنّ المقصود بعلمه سبحانه السرّ الإشارة إلى علمه بما يُسرّه الكفار من كيدٍ لرسوله صلى الله عليه وسلم، وكذلك علمه بباطن أمر رسوله وبرأته من بهتانهم¹، ولعلّ بلاغة ذلك أيضا تكمن في سياق الآية مع ما ورد قبلها؛ من التّهم والشبهات في وصف القرآن بالإفك تارة وأساطير الأولين تارة أخرى، فنلاحظ أنّ الإشكال المحرّك لهذه الشّبه هو حيرة المشركين وجهلهم بمصدر هذا الكلام، ومن أين للمصدر بهذا العلم؟ فأورد الله سبحانه في الآية ردّا على الشبهتين المطروحتين؛ إذ من شأن القرآن أن يعالج أساس المشكلة لا أعراضها، فأخبر سبحانه نبيّه أن يجيبهم عن ذلك بقوله ﴿أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁶ فالقضية ليست قضية افتراء أو اكتتاب كما يزعمون بل قضية تنزيل؛ وربما لهذا تكرر فعل التنزيل في السورة كثيرا، وإنها ليست قضية إعانة قوم له على ذلك، بل هو منزل من الله الذي يعلم السرّ فلا يحتاج لا إلى معلّم ولا معين.

وأما السؤال الثاني وهو علاقة الفاصلة بمضمون الآية؛ فقد تنبّه له الزمخشريّ فقال: «لما كان ما تقدّمه في معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه، لأنه لا يوصف بالمغفرة والرحمة إلا القادر على العقوبة، أو هو تنبيه على أنهم استوجبوا بمكابرتهم هذه أن يصب عليهم العذاب صبا، ولكن صرف ذلك عنهم إنه غفور رحيم، يمهّل ولا يعاجل²». وعلى كلا الاحتمالين يتّضح تناسب الصفتين مع سياق الآية، والله أعلم.

يـ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ 58﴾ السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: لم جيء بوصف الحي الذي لا يموت مع الأمر بالتوكل؟ ولماذا لم يقل سبحانه: توكل على القدير أو العليم أو غير ذلك من صفات الربوبية؟

¹ ينظر: محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل. دار الريان للتراث. ط3. القاهرة. 1987م. ج3. ص: 265.

² الزمخشري. الكشاف ج3. ص: 265.

الظاهر والله أعلم أنّ الله سبحانه بعد أن أمره بالتوكل «عرّفه أن الحيّ الذي لا يموت حقيق بأن يتوكّل عليه وحده، ولا يتكل على غيره من الأحياء الذين يموتون¹» فإن التوكل استناد القلب، واستناد القلب على مؤقت سقوط مؤجل.

كـ (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ (35) تحتوي الآية على ثلاثة مؤكّدات: «اللام، وقد، والقسم، لأنّ اللام موطّئة للقسم، والتقدير: والله لقد²»، ومعلوم أنّ التأكيد خلاف الأصل، ولا يؤكّد الكلام إلا لسبب؛ «والتأكيد في القرآن سببه أحد أمرين: إمّا أن يكون في مقابلة إنكار المنكر، وإمّا أن يكون لأهميّة الموضوع، وإمّا للأمرين جميعاً، فيكون أمراً مهماً، ويكون هناك منكر له³»، ويرى ابن عثيمين رحمه الله أنّ السبب الثاني غير وارد هنا؛ فإيتاء موسى الكتاب أمر غير منكر لا من النبي صلى الله عليه وسلّم ولا من المشركين حيث إنّ أهل الكتاب عامة واليهود خاصة بين ظهرائهم، لكنّ أهميّة الموضوع اقتضت ذلك؛ ليعرض للرسول صلى الله عليه وسلّم صوراً من تكذيب السابقين حتى يكون ذلك أبلغ في تسليته⁴، ولا يخفى على من قرأ القرآن وأكثر من النظر فيه تكرار هذه الصيغة -أعني: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ (35) - كثيراً في القرآن، وهذا دليل آخر على أهميّة الموضوع.

لـ ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا 3﴾ يرى ابن عاشور رحمه الله أنّ تقديم الضر على النفع أو العكس سواء في هذا السياق وما يشبّهه في نظم القرآن، فهما سواء وإنما تقديم أحدهما على الآخر مجرّد تقنن⁵ غير أن هذا مستبعد، فكلام الله سبحانه لا يأتي نظمه وترتيبه إلا لحكمة وإن

¹ الزمخشري. الكشف ج3. ص: 288.

² تفسير ابن عثيمين: الفرقان. ص: 131.

³ المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

⁴ ينظر: المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

⁵ ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير ج18. ص: 320.

جُهِلَتْ؛ وقد ذهب غيره إلى استنباط بعض الحكم في ذلك فقيل إنّ في: «تقديم الضر على النفع إشارة إلى أن هذه المعبودات التي تعبد من دون الله لا تملك الضر الذي يملكه الله وحده والذي يفر منه هذا الضال الذي ان شاء الله ضاعف عليه البلاء ورماه بالضر بعد الضر ففي هذا تهديد لهذا الضال¹» وهو رأي وجيه، إذ يتضمّن الكلام تهديداً ضمنياً وهو ما يناسب السياق، وفيه نكتة أخرى لطيفة تتجلى في كون «دفع الضرّ أهم من جلب النفع، وإنما قال "لأنفسهم" إظهاراً لغاية عجزهم، فإن من لا يقدر على ذلك في حق نفسه لا يقدر عليه في حق غيره²». ف سبحانه من أحكم تنزيله!

مـ التعبير بالفعل المضارع في وصف عباد الرحمن: جاءت الصفات التي ألحقها الله سبحانه بعباد الرحمن أفعالا مضارعة لا أسماء، فما وجه ذلك؟

لا ريب في أنّ الفعل المضارع أدلّ على الوصف من الماضي، كما يزيد على الاسم بدلالة التجدد والاستمرارية في حين يتميز الاسم بالثبوت، فلذلك والله أعلم جيء بصفات عباد الرحمن أفعالا مضارعة تدلّ على الحركة والتجدد، لأنها متجددة في كل وقت وحين.

ثانياً: مبدأ التأويل المحلي: (Interprétation locale)

أ/ مفهومه: لغة: الواقع أنّ المعنى اللغويّ كفيل بإعطاء نظرة سليمة عن هذا المصطلح؛ حيث جاء في لسان العرب: «أول الكلام وتأوله: دبّره وقدره، وأوله وتأوله فسرّه، التأويل: المرجع والمصير مأخوذ من آل يؤول إلى كذا أي صار إليه، والتأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء³».

ب/ اصطلاحاً: يعدّ التأويل منهجاً ومصطلحاً معاصراً ارتبط بالألماني جورج قدمير؛ غير أننا سننظر إليه من زاوية نصيّة؛ بوصفه مصطلحاً في لسانيّات النصّ حيث يأخذ تسمية: "التأويل المحلي"؛ إذ «يرتبط هذا المبدأ بما يمكن أن يعتبر تقييداً للطاقة التأويليّة لدى المتلقي باعتماده على

¹ عبد الكريم يونس الخطيب. التفسير القرآني للقران ج9. ص: 996

² تفسير ابن كمال باشا. ج7. ص: 311.

³ ابن منظور. لسان العرب ج11. ص: 34/33.

خصائص السياق، كما أنه مبدأ متعلق بكيفية تحديد الفترة الزمنية في تأويل مؤشر زمني مثل: الآن¹»، يظهر لنا من خلال الكلام السالف أن فكرة التأويل لا تعني فتح الباب على مصراعيه لجميع الاحتمالات؛ بل له قيود وضوابط تحدّ من التأويلات المطروحة؛ وهذه الضوابط يحكمها السياق، «فلا بد من توافر مبادئ للفهم لدى المتلقي تمكّنه من الوصول إلى فهم مناسب ومعقول، ووفقاً لهذا المبدأ فإن المتلقي مدعو إلى عدم إنشاء سياق يفوق ما يحتاج إليه للوصول إلى فهم معيّن لقول ما²»، وإلاّ لحملنا الكلام ما لا يحتمله من معانٍ، ولقولنا النص ما لم يكن ليقوله.

ج/ التأويل المحلي لسورة الفرقان:

1- (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا 48 لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسِيَّ كَثِيرًا 49 وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا 50) تمت مناقشة هذه الآية إحصائياً في جانب الاتساق، غير أنّ هناك جانباً للتأويل فيه حضور قوي؛ وهو جانب الخلاف في تفسيرها وعود الضمير فيها؛ حيث قيل إن الضمير عائد على المطر، وهناك من أجيز عوده على القرآن المعلوم من المقام؛ ولبعض المفسرين قول وسط لتحمل المقام كلا الاحتمالين؛ «ولقد صرفناه بينهم أي المطر أو القرآن الكريم بيناه على عدة وجوه ليذكروا الإعجاز في هطوله وإنباته الأرض الجذباء ... وليتفكروا في الإعجاز القرآني من جهة أخرى»³ حيث إنّ مناط الاختلاف هو الغاية من ذلك؛ وهي التذكّر والتفكّر، وكلا التأويلين وارد.

2- ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ 7﴾ يحصر السياق دلالة اسم الإشارة "هذا" فنفهم من خلال محلّه في الكلام أنّ المقصود به هو النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره من الرسل.

¹ محمد خطابي. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب. ص: 56.

² ج. ب. براون. و ج. يول. تحليل الخطاب. ص: 72.

³ محمد فاروق فارس الزين. بيان النظم في القرآن الكريم. دار الفكر ط1. دمشق سوريا. 2004. ج3. ص: 180

3- ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ 2﴾ في الآية ردّ على من نسب الولد لله سبحانه وفيه «إبطال لقول النصارى الذين قالوا: إن المسيح ابن الله، ولقول اليهود الذين قالوا: عزير ابن الله، وللمشركين الذين قالوا: الملائكة بنات الله¹»، فإنّ من الطبيعي ألاّ يلجأ لنفي أمر إذا وُجد من يعتقده.

4- ﴿وَإِذَا الْقُورُ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا 13﴾ اسم الإشارة هناك لا جليل تعب في تأويله، حيث إنّ السياق يوضّح بأنّه عائد على "مكانا ضيقا" في جهنّم، ولو اقتصرنا على حيّز معيّن في الآية لعسر أو تعذّر تأويل المراد منه.

5- (لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ (14) (وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ (17) ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا 26﴾ كلمة يوم أو يومئذ في سورة الفرقان فتأويلها هو يوم القيامة بدلالة ما يسبقها وما يليها.

6- ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيِّنَنِي أَنْتَ مُحَمَّدٌ مَعَ الرُّسُولِ سَبِيلًا 27﴾ (يَا وَيَلَّتْ لِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (28) الظاهر في الآية أنّها عامّة تشمل كلّ خليلين من أهل الضلال، غير أنّ أهل التأويل اختلفوا في المعنيّ بقوله الظالم وبقوله فلان، والأشهر أنّه «عني بالظالم عقبة بن أبي معيط، لأنّه ارتد بعد إسلامه، طلبا منه لرضا أبي بن خلف، وقالوا فلان هو أبي²» والله أعلم.

7- ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ 53﴾ كنّا قد وقفنا عند هذه الآية في مبدأ السياق، غير أنّ لمبدأ التأويل المحليّ يدا فيها أيضا، إذ أوردنا سابقا بأنّ الآية على حقيقتها هنا، واختلف في اسم البحرين. في المقابل يوجد من أوّل الآية بمعنى آخر حيث قيل: «أراد بها الأنهار العظام يعني: أرسل في الأرض المياه على ضربين: أحدهما عذب والآخر ملح،

¹ تفسير ابن عثيمين: الفرقان. ص: 21.

² ابن جرير الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج 17. ص: 440.

وكل واحد منهما بحر، فالفرات العذب كالنيل والفرات ودجلة وسيحان ونحوها، والملح الأجاج كالبجار المعروفة¹. والبرزخ هو ما يحول بينهما من الأرض. والله أعلم بمراده.

ثالثاً: مبدأ التشابه: (Similarité)

أ/ مفهومه: لغة: التشابه في اللغة التماثل والاستواء؛ «أشبهه فلان أباه وأنت مثله في الشبه والشبه، وكذلك كل شيء يكون سواءً فإنها أشباه²».

ب/ اصطلاحاً: التشابه باعتباره مبدأ من مبادئ الانسجام، أو مصطلحاً نصياً يأخذ تعريفاً غير بعيد عن التعريف اللغوي؛ ويقصد بالتشابه اللفظي في القرآن الكريم: «الآيات المتكررة بلفظها، أو مع اختلاف يسير في لفظها أو نظمها، مع تقارب المعنى لغرض ما³» وليس هذا بأمر غريب في القرآن الكريم، إذ هو من المعاني التي قيلت في كلمة "مثاني": «يعني القرآن كله متشابه مثاني، وقال قتادة: الآية تشبه الآية والحرف يشبه الحرف، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: مثاني: مردد؛ ردد موسى في القرآن وصالح وهود والأنبياء عليهم الصلاة والسلام في أمكنة كثيرة⁴».

ج/ مبدأ التشابه في السورة:

1. مع سورة الإسراء: لعلّه من الأمور التي لا يغفلها عنها مقبل على القرآن التشابه الكبير بين سورتي الإسراء والفرقان أول الأمر في فواصل الآيات؛ حيث تنتهي آيات كلتا السورتين بحرف منون بالفتح غالباً: مثل: وكيلا، رحيمًا، مسحورا، كثيرا.. إلخ هذا من الناحية الشكلية العامة،

¹ أبو حفص النسفي. التيسير في التفسير. ج11. ص: 227

² ابن منظور. لسان العرب ج13. ص: 505.

³ تهاني بنت سالم بن أحمد باحويرث. أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني. رسالة ماجستير - جامعة أم القرى. 2007. ص: 12.

⁴ ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. تحقيق: حكمت بن بشير بن ياسين. دار ابن الجوزي. ط1. السعودية. 1431هـ. ج6. ص: 447.

وإذا دخلنا في خضمّ السورة نتلوها وجدنا تشابها من نوع آخر، هو تشابه الآيات في ألفاظها ومعانيها، ومن نماذج ذلك نذكر:

أ- ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا 8 أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَل فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا 9﴾ -الفرقان- ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا 47 أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَل فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا 48﴾ -الإسراء- حيث تناولت السورتان موقف المشركين من دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء التعبير عن ذلك باللفظ نفسه، وتكرار آية بأكملها، وذلك لكثرة الأمثال التي تكرر ضربها للنبي صلى الله عليه وسلم، وآيات تسليته صلى الله عليه وسلم في القرآن كثيرة تناسبها مع ما كان يتعرض إليه من أذى بافتراءاتهم، فلا غرابة في تكرار المعاني أو الألفاظ بعينها، مادام المقام واحدا يتكرر.

ب- ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ 2﴾ -الفرقان- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ 110﴾ -الإسراء- وردت الآية الأولى في أواخر الإسراء، والثانية في مطلع سورة الفرقان، وهذا المعنى متكرر جدا في القرآن الكريم بمعناه، غير أنّ موضع الإسراء هو الموضع الوحيد الذي شاطر موضع الفرقان في لفظه، تارة بعد صيغة الحمد "الحمد لله"، وتارة بعد صيغة التعظيم "تبارك"، فإنّه سبحانه قد تعالى وتنزّه عما يقولون في نسبة الولد والشريك له، وهو بهذا مستحقّ للحمد والثناء والتعظيم.

ج- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ (35) الفرقان / وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ (2) الإسراء سبق الحديث عن تكرار هذه الآية في القرآن الكريم في عنصر السياق اللغوي؛ وتمّ التطرّق للحديث عن نكتة هذا التكرار، علمنا من خلال ذلك أنّ الموضوع ذو أهميّة بالغة سواء في الجانب التاريخي أم الديني، إذ يعدّ إيتاء التوراة لموسى حدثا مفصليا في تاريخ الشرائع.

د- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الفرقان/ 56- الإسراء/ 105) تكررت الآية بلفظها في السورتين أيضاً، وليس هذا وحده القاسم المشترك بين السورتين -كما تقدّم- حيث إنّ مقاصد السورة متضافرة متلاحمة، ومن بين المقاصد التي سبق ذكرها للسورة: إثبات صدق النبي صلى الله عليه وسلم، وتسليته عن الأذى الذي يتعرّض له، وهذه الآية من ضمن تلك الآيات التي جيء بها لهذا المقصد العظيم.

2. مع بقية السور المكية:

وإن كانت سورة الإسراء أكثر السورة قرباً من سورة الفرقان لفظاً ومعنى، غير أنّ هذا لا يمنع من وجود تشابه لها مع بقية السور، خصوصاً السور المكية منها، والتي عالجت نفس القضايا المطروحة في العهد المكي، نذكر من ذلك نماذج منها:

أ- ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (الفرقان/ 3- النحل/ 20) نفس الصياغة واحدة في سورة الفرقان، والأخرى في النحل.

ب- ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِنَفْسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ (الفرقان/ 3) ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِنَفْسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ (الرعد/ 17) السياق نفسه والمعنى ذاته اللذان وردت فيهما الآيتان، مع اختلاف طفيف في تقديم الضر والنفع؛ حيث قدّم الضر في سورة الفرقان، وأُخّر في سورة الرعد؛ وسبب تقديم الضر على النفع في الفرقان منضوٍ تحت قاعدة "دفع الضر أولى من جلب النفع"، أمّا تقديم النفع على الضر في سورة الرعد «لأنّ المقام يقتضيه في إثبات عجز الأولياء؛ وذلك أن النفع هو المقصود بالذات من التصرفات وبذل الجهود، فإذا عجز الأولياء عمّا يكون الحرص عليه أكثر -وهو جلب النفع-

فإنهم عن غيره أعجز بطريق اللزوم، ولا يتحقق هذا المعنى هنا لو قدم نفي الضر على نفي النفع¹»

ج- ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ ۖ﴾ ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۙ﴾ مع تغيّر بسيط بين الآيتين؛ فوردت "أنزل إليه" في سورة الفرقان، بينما جاءت "أنزل عليه" في سورة الأنعام.

وهذه الآيات الثلاث يربطها خيط رفيع هو مقصد عظيم من مقاصد السور المكية ألا وهو ذكر موقف المشركين من الدعوة المحمدية والردّ عليها لتثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته إلى الصبر وتحمل أذى المشركين وكذا والسخرية من المشركين وآلهتهم².

د- ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ۚ﴾ تشبه الآية في معناها وكذلك في صياغتها إلى حدّ بعيد آيات سورة النبأ ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (9) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (10) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (11)﴾

هـ- ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ (الفرقان / 53- الرحمن / 17) بنفس اللفظ مع اختلاف فيما يليه.

و- ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ (الفرقان- 59، السجدة -4- تكررت الآية بمعناها مع تغيير طفيف في كثير من سور القرآن، غير أنّ آية السجدة هي الآية الوحيدة التي وافقتها في الصياغة اللفظية حرفياً؛ ما عدا أنّ آية الفرقان وردت في أواخر السورة، أمّا آية السجدة فوردت في أوائلها.

وهذه الآيات الثلاث تخدم مقصداً هو الأهمّ ضمن مقاصد القرآن عامّة والسور المكية خاصّة؛ ألا وهو: «تأكيد وحدانية الله وقدرته»³

¹ مجموعة من المؤلفين. الموسوعة البلاغية. مجمع القرآن الكريم. ط1. الشارقة 2026، ج 24. ص: 20

² ينظر: مصطفى ديب البغا. الواضح في علوم القرآن. دار الكلم الطيب. ط2. دمشق. 1998م. ص: 66.

³ المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

رابعاً: مبدأ التّغريض: (Thématisation)

أ/ مفهومه: لغة: تأخذ مفردة "الغرض" معاني شتى سنكتفي منها على ما له علاقة بالمعنى الاصطلاحي، حيث جاء في لسان العرب: «الْعَرَضُ: هُوَ الْهَدَفُ الَّذِي يُنْصَبُ فَيُزْمَى فِيهِ، وَالْجَمْعُ أَغْرَاضٌ. وَغَرَضُهُ كَذَا أَيْ حَاجَتُهُ وَبُغْيَتُهُ. وَفَهَمْتُ غَرَضَكَ أَيْ قَصْدَكَ»¹. فالتّغريض هو الهدف الذي يرجى من وراء فعل أو قول ما.

ب/ اصطلاحاً: التّغريض بوصفه مصطلحاً لسانياً وإجراءً خطابياً معناه كلّ ما من شأنه أن «يطوّر وينمّي به عنصر معيّن في الخطاب، وقد يكون هذا العنصر اسم شخص أو قضية أو حادثة»² ويتعلّق مفهوم التّغريض بالارتباط الوثيق «بين ما يدور في الخطاب وأجزائه وبين عنوان الخطاب أو نقطة بدايته، مع اختلاف فيما يعتبر نقطة بداية حسب تنوع الخطابات، وإن شئنا التوضيح قلنا إن الخطاب مركز جذب يؤسسه منطلقة وتحوم حوله بقية أجزائه»³. فيتبيّن هنا أنّ التّغريض مبدأ قائم على بؤرة أو عنصر مركزيّ في نصّ ما، تستهدفه بقية العناصر وتخدمه بصفته مركز الثقل في ذلك النصّ. وهو ما يكون غالباً في مطلع النصّ عنواناً كان أم الجملة الأولى مفتتح الكلام؛ حيث تعدّ «الجملة الأولى في النصّ معلماً عليه يقوم اللاحق ويعود»⁴. إذ ينتظم الخطاب على شكل «متتاليات من الجمل متدرجة لها بداية ونهاية فإن هذا التنظيم -أي الخطيّة- سيتحكم في تأويل الخطاب، بناء على أن ما يبدأ به المتكلم سيؤثر في تأويل ما يليه، وهكذا فإن عنواناً ما سيؤثر في تأويل النصّ الذي يليه، كما أن الجملة الأولى من الفقرة الأولى لن

¹ ابن منظور. لسان العرب ج7. ص: 196.

² محمد خطابي. لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب. ص: 59.

³ المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

⁴ الأزهر الزناد. نسيج النصّ. ص: 67.

تفيد فقط تأويل الفقرة، وإنما بقيّة النصّ أيضاً¹» ما ينبّه على التلاحم المتين بين أجزاء النصّ، من خلال الاستعانة بكلّ من السياق والتأويل لبناء هذه العلاقات الخفيّة ذات الخطوط الرفيعة.

ج/ طرق التّغريض: للتّغريض طرق ووسائل إذا لُمحت وفُهمت سهّل على المتلقّي تصويب نظره نحو العنصر المغرّض، ولعلّ أهمّ ما يلفت انتباه المتلقّي في هذه الطّرق: الحضور القوي المستمر لذات تتخذ صوراً متنوعة مختلفة أو قيامها بأدوار مختلفة؛ ما يعطي النصّ «إمكانية الانفتاح على عوالم متعددة مترابطة، أي النمو في اتجاهات مختلفة دون أن تقلت من المقصد الأصليّ، ذلك أن كل المقاطع تصب في نفس الهدف، وهو: إعطاء صورة متعددة الأبعاد عن ذات واحدة²»، ومن بين أهمّ طرق التّغريض³:

- تكرير اسم الذات المغرّضة/ العنصر المغرّض.
- استعمال ضمير محيل إليه.
- تكرير جزء من اسمه.
- استعمال ظرف زمان يخدم خاصية من خصائصه.
- تحديد دور من أدواره في فترة زمنية.

د/ التطبيق على السورة: بعد التّحليل النصّي للسورة سواء على المستوى الشّكليّ -الانساق- أم على المستوى الدّلاليّ -الانسجام- يكون قد تبين لنا جلياً أنّ «العناية بالرسول صلى الله عليه وسلّم، ومسح آلام الحزن عنه، وتثبيت قلبه⁴» هو العنصر الأساسيّ المغرّض في جميع أجزاء السورة، وهو ما ساعد على انسجام السورة دلاليّاً وتلاحم أجزائها، إلّا أنّ هذا لا يعني انتفاء عناصر

¹ محمد خطابي. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب. ص: 59.

² محمد خطابي. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب. ص: 294.

³ ينظر: المرجع نفسه. ص: 59.

⁴ جعفر شريف الدين. الموسوعة القرآنية. خصائص السور. ج6. ص: 108.

مغرّضة أخرى أقل درجة من العنصر الأساسي. وهو شأن كلّ كلام إذا طال؛ أو سورة قرآنية إذا طالت فإنها قد تكون ذات موضوع واحد، يتعدد طرحه من خلال سياقات متنوعة، كما قد تكون متعدّدة الموضوعات، وربما ظهر لبعض المتدبرين لمثل هذه السور متعدّدة الموضوعات خيط رفيع يجمعها في موضوع واحد؛ وهو ما اصطلح بعض المعاصرين على تسميته بالوحدة الموضوعية؛ أو ما كان يسميه بعض العلماء بمقصد السورة من خلال النظر في: اسم السورة وموضوعاتها وملابساتها، وتفسيرها الإجمالي، ولا شك أنّ البحث في موضوع الوحدة الموضوعية شائق غير أنه مظنة للتكلف والقول على الله بغير علم¹.

إنّ سورة الفرقان -كغيرها من السور- سورة ذات مقاصد عامّة، غير أنّه كما ذكرنا فإنّ العناية بالنبي صلى الله عليه وسلم تسلية وتثبيتاً يحتل الصدارة بين موضوعاتها المتمثلة في²:

1. تنزيه الله سبحانه وتعالى، وإيراد شبه المكذّبين حول القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم والردّ عليها.

2. ذكر تطاول المشركين ومزاعمهم وتفنّنهم في العداء للنبي صلى الله عليه وسلم واحتقاره، قابله تسلية الله سبحانه لنبيه وتثبيته بذكر ما كان من أمر الأنبياء السابقين.

3. محاجة المشركين بذكر آلاء الله سبحانه والتتويه على عظيم قدرته، لشدّ أزر النبي صلى الله عليه وسلم وتثبيته في طريق الدّعوة.

4. ختام السورة بتهوين ما يتلقاه النبي صلى الله عليه وسلم من خلال ذكر الفئة الثانية من الناس؛ عباد الرحمن، فيبين صفاتهم وجزاءهم، وفي ذلك عزاء للنبي صلى الله عليه وسلم خاصّة والمسلمين عامّة.

¹ ينظر: مساعد الطيار. المحرر في علوم القرآن. مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي. ط2. 2008م. ص: 210.

² ينظر: الموسوعة القرآنية. ص: 108، 109، 110.

نتائج الفصل الثاني:

- _العلاقة بين الاتساق والانسجام تكمن في كونها علاقة تكامل يخدم ويحتاج كل منهما للآخر.
- _أهميّة السياق غير اللغويّ في فهم النّص، من خلال معرفة أسباب النّزول وعلاقة الآيات بالسياق الخارجي.
- _دور السياق اللغويّ/ النّصيّ في تفجير النّص القرآني بدلالات خفيّة تبرز مدى أهميّة السياق بنوعيه، والارتباط الوثيق بين أي كلام وسياقه الذي ورد فيه.
- _احتياج مبدأ التأويل المحلّي إلى مبدأ السياق، وتداخلهما في الاشتغال على بعض الآيات.
- _التشابه الكبير بين سورتي الفرقان والإسراء شكلا ومضمونا؛ كما نلمح التشابه بينها وبين بقيّة السور المكّيّة التي تشترك معها في نفس المقاصد.
- _دور التغريض في جعل النص كتلة واحدة، من خلال رصد مركز ثقل النّص الذي تحوم حوله بقيّة المواضيع؛ ألا وهو تسليّة النبي صلى الله على وسلّم وتنبيته.

الخاتمة

بعد التحليل النصي لسورة الفرقان على المستوى الشكلي والدلالي، نخلص إلى أهم النتائج

التي توصل إليها البحث في المدخل وفي فصليه الأول والثاني، وهي كالآتي:

1_ الانتقال من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص لم يكن منعطفًا ناشئًا من فراغ، بل ضرورة اقتضاها التطور الحاصل في العلوم على اختلاف مشاربها والتي أسهمت بشكل أو بآخر في ميلاد هذا العلم.

2_ الخلاف القائم بين بعض الدارسين حول مفهوم النص والخطاب؛ باعتبار الأول مكتوبًا والثاني منطوقًا، لا يمنع من اعتبار القرآن الكريم نصًا وخطابًا في الآن ذاته؛ فهو خطاب إذ نزل شفاهة، ونص إذ دُون.

3_ يشتغل معيار الاتساق على ظاهر النص وجانبه الشكلي بمستوياته النحوي والمعجمي؛ فينقسم المستوى النحوي إلى أربعة أقسام: الإحالة، الاستبدال، الحذف، الربط، بينما يتفرع المستوى المعجمي إلى نوعين هما: التكرار والتضام.

4_ تعدّ الإحالة أكثر أدوات الاتساق بروزًا في السورة بمختلف أدواتها؛ الإحالة بالضمير والاسم الموصول واسم الإشارة.

5_ الإحالة بالضمير أكثر أنواع الإحالة انتشارًا في السورة؛ سواء أكان الضمير ظاهرًا أم مضمرا، متصلا أم منفصلا.

6_ وتنقسم الإحالة بالضمير إلى أربعة أقسام: ضمير المفرد الغائب، وعائده إما على الله سبحانه أو القرآن أو الكافر. وضمير المفرد المخاطب وهو النبي صلى الله عليه وسلم، وضمير جماعة المتكلمين (نون العظمة) على الله سبحانه، ضمير جماعة الغائبين ويعود إما على المشركين خلال السورة، أو على عباد الرحمن في آخر السورة.

7_الإحالة بالاسم الموصول -سواء أكان مفرداً أم جمعا- عائدها إمّا على الله سبحانه، أو عباده المؤمنين في آخر السورة، أو ما يحيل على الكفار.

8_الإحالة على القرآن أو الرسول باسم الإشارة "هذا"، واسم الإشارة "كذلك" يدل على جملة سابقة الذكر غالباً ما تكون قبله مباشرة، واسم الإشارة الذي يدلّ على الجمع "أولئك" يعود على عباد الرحمن.

9_الإحالة باسم الإشارة هي أقلّ أنواع الإحالة وروداً مقارنة بالأنوعين الآخرين.

10_ ورود أدوات الحذف بصورها المختلفة دليل آخر على اتساق النصّ وبلاغته حيث يقال "البلاغة الإيجاز".

11_الفرق بين أداتي الحذف والاستبدال أنّ الحذف استبدال بالصفّر، أمّا الاستبدال فحذف وتعويض بعنصر آخر.

12_قد يعود اسم الإشارة على مفرد، كما قد يعود على جملة، وخاصّة اسم الإشارة "كذلك" وهو ما يسمّى بالدلالة الموسّعة.

13_ قد يحدث تداخل بين أداتي الإحالة والاستبدال خصوصاً في اسم الإشارة "كذلك" حيث إنّّه غالباً ما يكون مشيراً إلى الجملة التي سبقته وفي نفس الوقت عوضاً عنها.

14_ورود أنواع الربط المختلفة كلّها في السورة دليل على تنوّع الأدوات التي شكّلت النصّ، وشدة اتّساقه.

15_الفعّالان: جعل، نزل؛ وما اشتقّ منهما، هما أكثر الألفاظ وروداً وتكرّراً في السورة، منسوبين إلى الله سبحانه وتعالى في أغلب المواضع.

16_مجيء فعل التنزيل مبنياً للمجهول في مقول الكفار، بسبب إنكارهم، ويأتي دائماً مبنياً للمعلوم منسوباً لله سبحانه وتعالى بما يتناسب والردّ على المشركين.

17_ الحضور القويّ لأداة التضام نظرا لحجم السورة، حيث وردت هذه الأداة فيها بصورة مكثّفة، ما

يشير إلى اتساق السورة بين الكلمات من جهة، وبين الجمل والآيات من جهة أخرى.

18_ إن العلاقة بين الاتساق والانسجام علاوة على كون أحدهما يقف عند الجانب الشكليّ، بينما

يغوص ثانيهما في الجانب الخفيّ إلّا أنّ علاقة التكامل هي ما يحكمهما، حيث يخدم ويحتاج كلّ

منهما للآخر.

19_ أهميّة السياق غير اللغويّ في فهم النّص، وتغيير الدلالات، وصرف المعنى إلى جانب خفيّ

لم يكن ليُفهم إلّا من خلال معرفة أسباب النّزول وعلاقة الآيات بالسياق الخارجيّ.

20_ دور السياق اللغويّ/ النّصيّ في تفجير النّص القرآني بدلالات خفيّة تبرز مدى أهميّة السياق

بنوعيه، والارتباط الوثيق بين أي كلام وسياقه الذي ورد فيه، وهو ما يعزّز ارتباط الكلمة أو الجملة

بسياقها، حيث إنّ أخذ الكلمة بمعزل عن سياقها عبارة عن اجتثاث للمعنى.

21_ احتياج مبدأ التّأويل المحليّ إلى مبدأ السياق، وتداخلهما في الاشتغال على بعض الآيات،

فإنّنا لا نستطيع أن نؤوّل جملة إلّا إذا اطّلعنا على سياقها اللغوي وغير اللّغويّ؛ فالسياق هو الجناح

الذي يحلّق بالمعنى في سماء التّأويل، وفي الآن ذاته هو ما يضع له حدودا، فلولا السياق لكان

التّأويل مُطلق اللّجام لا يحده حدّ، ولولا الاحتكام إلى السياق لخرج التّأويل عن السيطرة ولقوّل

النّص ما لم يكن ليقوله.

22_ التشابه الكبير بين سورتي الفرقان والإسراء شكلا ومضمونا؛ بحكم التقارب الزّمني بين

نزولهما، كما نلمح التشابه بينها وبين بقيّة السور المكيّة التي تشترك معها في نفس المقاصد ونفس

الظروف، وكثيرا ما تتشابه أسباب النزول بينها.

23_ دور التغريض في جعل السورة كتلة واحدة، من خلال رصد مركز ثقل النص؛ ألا وهو تسليية النبي صلى الله عليه وسلم وتثبيت فؤاده ومواساته عن أذى المشركين له، وهو الذي تحوم حوله بقيّة المواضيع على اختلافها فإن لها روابط وشيجة تجذبها نحو محور النص ومركز الثقل.

هذا ما يسر الله الوقوف عليه في رصد مظاهر الاتساق والانسجام في سورة الفرقان، غير أنّه قد بقي من الدّراسة جانب من الأهميّة بمكان حريّ هو الآخر بالدّراسة؛ ألا وهو بقيّة المعايير النصيّة ذات العلاقة بمنتج النص ومتلقّيه ومقامه وهي: القصديّة، المقبوليّة، الإعلاميّة، المقاميّة، التناصّ.

فإن أصبْتُ فبفضل الله ولطفه، وإن أخطأتُ فمن نفسي، والله وليّ التّوفيق.

وآخر دعوانا بتوفيق ربنا أن الحمد لله الذي وحده علا

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

أولاً: المصادر والمراجع:

1. إبراهيم مصطفى وآخرون المعجم الوسيط. مكتبة الشروق الدولية. ط4. القاهرة. 2005م. ج2.
2. ابن أبي زمنين. تفسير القرآن العزيز. تح: أبو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز. الفاروق الحديثة. ط1. القاهرة. مصر. 2002م. ج3.
3. ابن دريد. جمهرة اللغة. تح: رمزي منير بعلبكي. دار العلم للملايين ط1 بيروت. 1987م. ج1.
4. ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. تح: حكمت بن بشير بن ياسين. دار ابن الجوزي. ط1. السعودية. 1431هـ. ج6.
5. ابن منظور. لسان العرب. دار صادر. ط3. بيروت. 1414هـ.
6. أبو إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي. المقاصد الشافية شرح ألفية ابن مالك للشاطبي. معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى. ط1. مكة المكرمة 2007. ج5.
7. أبو العباس البسيلي التونسي. نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد. تح: محمد الطبراني. منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. ط1. المغرب. 2008م. ج2.
8. أبو الفتح عثمان بن جني. اللع في العربية تح: فائز فارس. دار الكتب الثقافية دط. الكويت. دت.
9. أبو حفص النسفي. التيسير في التفسير. تح: ماهر أديب حبوش وآخرون. دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث. ط1. أسطنبول. تركيا. 2019م. ج11.

10. أبو عبد الله الحميدي. تفسير غريب ما في الصحيحين. تح: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز. مكتبة السنة. ط1. القاهرة. مصر. 1995م.
11. أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. دار الكتب المصرية. دط. القاهرة. دت. ج13.
12. أبو علي الفارسي. الإيضاح العضدي. تح: حسن شاذلي فرهود. كلية الآداب_ جامعة الرياض. ط1. السعودية. 1969.
13. أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي. الجنى الداني في حروف المعاني. تح: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل. دار الكتب العلمية. ط1. بيروت. لبنان. 1992م.
14. أبو منصور الماتريدي. تفسير الماتريدي. تأويلات أهل السنة. تح: مجدي باسلوم. دار الكتب العلمية. ط1. بيروت. لبنان. 2005م. ج8.
15. أبو موسى المدني. المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث. تح: عبد الكريم العزباوي. جامعة أم القرى. مكة المكرمة. ط1. 1988م. ج2.
16. أحمد الهاشمي. جواهر البلاغة. المكتبة العصرية. دط. بيروت. دت.
17. أحمد مختار عمر. معجم الصواب اللغوي. عالم الكتب. ط1. القاهرة. 2008. ج1.
18. أحمد مختار عمر. معجم اللغة العربية المعاصرة. عالم الكتب. ط1. 2008م. ج2.
19. الأزهر الزناد. نسيج النص. المركز الثقافي العربي. ط1. بيروت. لبنان. 1993.
20. تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. عالم الكتب. ط5. 2006.
21. ج. ب. براون. و ج. يول. تحليل الخطاب. تر: محمد لطفي الزليطي، منير التريكي. جامعة الملك سعود. دط. الرياض. 1997م.

22. جعفر شريف الدين. الموسوعة القرآنية خصائص السور. تح: عبد العزيز بن عثمان التويجري. دار التقريب بين المذاهب الإسلامية. ط1. بيروت. 1420هـ. ج 6.
23. حافظ الدين أبو البركات النسفي. مدارك التنزيل وحقائق التأويل. تح: يوسف علي بديوي. دار الكلم الطيب. ط1. بيروت. 1998م. ج2.
24. حسام البهنساوي. أنظمة الربط في العربية. دراسة في التراكيب السطحية بين النحاة والنظرية التوليديّة التحليليّة. مكتبة زهراء الشرق. ط1. القاهرة. 2003.
25. خالد حميد صبري. اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة. بحث في الأطر المنهجية والنظرية. دار ومكتبة عدنان. ط1. بغداد. 2015م.
26. خولة طالب الإبراهيمي. مبادئ في اللسانيات. دار القصة ط2 الجزائر. 2006/2000.
27. ديان مكدونيل. مقدّمة في نظريات الخطاب. تر: عز الدين إسماعيل. المكتبة الأكاديمية. ط1. 2001م.
28. روبرت ديوجراندي وآخرون. مدخل الى علم لغة النص. مطبعة دار الكاتب. ط1. 1992م.
29. روبرت ديوجراندي. النص والخطاب والإجراء. تر: تمام حسان. عالم الكتب. ط1. القاهرة. 1998.
30. رولان بارت. لذة النص. تر: منذر العياشي. دار لوسوي. ط1. باريس. 1992م.
31. شرف الدين بن عبد الله الطيبي. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب حاشية الطيبي على الكشف. تح: نخبة من الباحثين بإشراف جائزة دبي للقرآن الكريم. ط1. 2013. ج11.
32. الشريف الجرجاني. معجم التعريفات. تح: محمد صديق المنشاوي. دار الفضيلة. دط. القاهرة. دت.

33. شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا. كتاب تفسير ابن كمال باشا. تح: ماهر أديب حبوش. مكتبة الإرشاد. ط1. إسطنبول. تركيا. 2018م. ج7.
34. صبحي إبراهيم الفقي. علم اللغة النصي. دار قباء. ط1. القاهرة. 2000م. ج1.
35. صديق حسن خان. فتح البيان في مقاصد القرآن. المكتبة العصرية دط. بيروت. 1992م. ج9.
36. فتحي رزق الخوالدة، تحليل الخطاب الشعري ثنائية الاتساق والانسجام في ديوان أحد عشر كوكبا. دار أزمنة. ط1. عمان. 2006.
37. عبد الرحمن حبنكة الميداني. كتاب البلاغة العربية. دار القلم. ط1. دمشق. 1996م. ج1.
38. عبد العزيز عتيق. علم البديع. دار النهضة. دط. بيروت. لبنان. دت.
39. عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. تح: محمود محمد شاكر. مطبعة المدني، ط3. القاهرة. 1992م. ج1.
40. عبد الكريم يونس الخطيب. كتاب التفسير القرآني للقرآن. دار الفكر العربي. دط. القاهرة. دت. ج10.
41. عزمي محمد عيال سلمان. لسانيات النص وتحليل الخطاب النشأة والتطور. كنوز المعرفة. ط1. 2020م.
42. فان دايك. النص والسياق. تر: عبد القادر قنيني. أفريقيا الشرق. دط. المغرب. 2000م.
43. المبرد، المقتضب. تح: محمد عبد الخالق عزيمة. عالم الكتب. (د ط. ت). بيروت. ج2.

44. مجموعة من المؤلفين. الموسوعة البلاغية. مجمع القرآن الكريم. ط1. الشارقة 2026. ج 24.
45. مجموعة من المؤلفين. موسوعة التفسير المأثور. مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي. دار ابن حزم، ط1. بيروت. 2017. ج16.
46. محمد أبو زهرة وآخرون. التفسير الوسيط. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية. ط1. 1993م. ج6.
47. محمد الطاهر ابن عاشور. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. الدار التونسية للنشر. ط1. تونس. 1984.
48. محمد الهلال. تفسير القرآن الثري الجامع. دار المعراج ودار جوامع الكلم. ط1. دمشق. سوريا. 2022م. ج2.
49. محمد بن جرير الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. دار التربية والتراث. دط. مكة المكرمة. دت. ج17.
50. محمد بن صالح ابن عثيمين. تفسير سورة الزمر. مؤسسة محمد بن صالح العثيمين ط1. السعودية. 1436هـ.
51. محمد بن صالح ابن عثيمين. تفسير سورة الفرقان. مؤسسة محمد بن صالح العثيمين. ط1. السعودية. 1436هـ.
52. محمد خطابي. لسانيات النص؛ مدخل إلى انسجام الخطاب. المركز الثقافي العربي. دط. بيروت. لبنان. 2006.

53. محمد فاروق فارس الزين. بيان النظم في القرآن الكريم. دار الفكر ط1. دمشق سوريا.
2004. ج3.
54. محمد محمد أبو موسى. خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني. مكتبة
وهبة. ط7.
55. محمد مفتاح. التشابه والاختلاف، نحو منهجية شمولية. المركز الثقافي العربي. دط.
بيروت. لبنان. دت.
56. محمود أحمد نحلة. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. دار المعرفة. دط.
الإسكندرية. 2002.
57. محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل
في وجوه التأويل. دار الريان للتراث. ط3. القاهرة. 1987م. ج3.
58. مساعد الطيار. المحرر في علوم القرآن. مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام
الشاطبي. ط2. 2008م.
59. مصطفى الغلاييني. جامع الدروس العربية. المكتبة العصرية ط28 بيروت. 1993م.
ج3.
60. مصطفى ديب البغا. الواضح في علوم القرآن. دار الكلم الطيب. ط2. دمشق. 1998م.
61. منذر العياشي. العلاماتية وعلم النص. المركز الثقافي العربي. ط1. المغرب. 2004.
62. نعمان بوقرة. المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية.
جدارا للكتاب العالمي. دط. عمان الأردن. 2009م
63. وهبة الزحيلي. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. دار الفكر. ط1. دمشق
سورية/ دار الفكر المعاصر بيروت. لبنان. 1991م. ج19.

64. يحيى بن سلام. التصارييف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه. تح: هند شلبي. الشركة التونسية للتوزيع. ط. تونس. 1979م.

ثانيا: الرسائل الجامعية:

1. تهاني بنت سالم بن أحمد باحويرث. أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني. -رسالة ماجستير- جامعة أم القرى. 2007.

2. شين مريم. بن يحيى يمينية. الاتساق والانسجام في سورة يس. -مذكرة لنيل شهادة الماستر- تخصص علوم اللسان العربي. قسم اللغة العربية وآدابها. جامعة محمد الصديق بن يحيى. جيجل. 2014/2015م.

3. محمود بوسنة. الاتساق والانسجام في سورة الكهف. -رسالة ماجستير- تخصص لسانيات اللغة العربية. قسم اللغة العربية وآدابها. جامعة الحاج لخضر. باتنة. 2008/2009م.

4. مريم دقيش. دور الروابط في انسجام النص القرآني -سورة يوسف أنموذجا- مذكرة لنيل شهادة الماستر. تخصص لسانيات تطبيقية. قسم اللغة والأدب العربي. جامعة قاصدي مرباح. ورقلة. 2016/2017م.

ثالثا: المقالات والمجلات:

1. سعد مصلوح. نحو آجرومية للنص الشعري -دراسة في قصيدة جاهلية- مجلة فصول. مجلد (10). عدا يوليو 1991م/ أغسطس 1991م.

2. فكري عبد المنعم النجار. التماسك النصي وأهميته في تحليل الخطاب القرآني سورة الفرقان أنموذجا -دراسة نحوية نصية-. مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية. الإمارات. المجلد 18. العدد 1. يونيو 2021م.

فهرس المحتويات

أ.....	شكر وعران	01
ب.....	إهداء	04
01.....	مقدمة	11
04.....	مدخل	14
11.....	الفصل الأول: مظاهر الاتساق في سورة الفرقان	14
14.....	I. الاتساق التركيبي	14
14.....	(1) الإحالة	26
26.....	(2) الاستبدال	28
28.....	(3) الحذف	31
31.....	(4) الربط	38
38.....	II. الاتساق المعجمي	38
38.....	(1) التكرار	43
43.....	(2) التّضام	46
46.....	نتائج الفصل الأول	47
47.....	الفصل الثاني: مظاهر الانسجام في سورة الفرقان	51
51.....	أولا: مبدأ السياق	62
62.....	ثانيا: مبدأ التأويل المحلي	65
65.....	ثالثا: مبدأ التشابه	68
68.....	رابعا: مبدأ التّغريض	72
72.....	نتائج الفصل الثاني:	73
73.....	الخاتمة	78
78.....	قائمة المصادر والمراجع	85
85.....	فهرس المحتويات	

"تمّ العمل برحمة الله وتوفيقه"

